روايات مصرية للجيب

مغامرات

٢٣

ع × ٢

قضية الجريمة الوهمية

سلسلة الغاز بوليسية مثيرة للناشئين

Looloo
www.dvd4arab.com

١ ــ جريمة قتل ..

صافحت (غُلا) صديقتها (منال) فى حرارة ، أمام منزل هذه الأخيرة ، فى حىّ (المعادى) ، وقالت وأساريرها تتهلّل سعادةً :

ــ عيد ميلاد سعيد يا (منال) ، وكل عام وأنت بخير وفى صحة وعافية .

صافحتها (منال) فى حرارة مماثلة ، وهى تقول :

ــ شكراً يا (غُلا) .. يسعدنى أنك قد لبّيت دعوتى ، وحضرتِ عيد ميلادى .

ابتسمت (غُلا) ، وهى تقول :

ــ كنت سأشعر بندم شديد ، لو لم أفعل يا (منال) .

قال والد (منال) فى قلق :

ــ هل تحبين أن أوصلك إلى منزلك يابنيّتى ؟ .. إن الوقت متأخر و ....

قاطعته (غُلا) فى لهجَة مهذّبة :

ـ شكراً يا أبتاه .. لقد حضر الأستاذ (عصام كامل) ، الصحفى المعروف ، لاصطحابى إلى منزلى ، فهو صديقنا .. أقصد صديق والدى .

سألها الرجل فى حنان :

ـ هل أنت واثقة من حضوره ؟

ضحكت وهى تقول :

ـ نعم يا عمّاه .. لقد أطلق بوق سيّارته ثلاث مرّات ، وهذا ما دفعنى للانصراف .

غمغم الوالد :

ـ أهو صاحب تلك السّيارة الصغيرة ؟

أومأت برأسها إيجاباً ، فابتسم ، وهو يقول :

ـ صحبتكما السلامة يابنيّتى ، بلّغى تحياتى للأستاذ (عصام) .

لوّحت (عُلا) بكفّها الصغيرة لصديقتها ووالدها ، وأسرعت تقفز درجات السُّلّم فى مرح ، حتى وصلت إلى أسفل البناية ، فاستقبلها (عصام) بابتسامة واسعة ، وهو يقول :

ـ كيف حال الشُّرطية الصغيرة ؟

ضحكت ، وهى تقفز إلى المقعد المجاور له ، قائلة :

ـ فى خير حال أيها الصحفى الكبير .. شكراً لك .

أدار محرّك سيارته ، وهو يضحك قائلاً :

ـ ماذا تقصدين بكلمة (الكبير) ؟.. أهى السنّ أم المقام ؟

ضحكت فى مرح ، وهى تقول :

ـ كلاهما .. بالنسبة لى على الأقل .

ابتسم وهو ينطلق بسيارته الصغيرة ، ولكن ابتسامته لم تلبث أن تلاشت فجأة ، وانعقد حاجباه فى حَنَق ، وهو يغمغم :

ـ اللّعنة !!

سألته (عُلا) فى قلق :

ـ ماذا هناك ؟

أوقف السّيارة ، وهو يلّوح بكفّه ، هاتفاً فى حَنَق :

ـ لقد فرغ الإطار الأمامى من الهواء ، وسأضطر لاستبداله بالإطار الاحتياطى .

ضحكت (عُلا) ، وهى تقول :

ـ هذا لايدهشنى ، فلابُد لسّيارتك من أن تؤكد وجودها على الساحة .

عقد حاجبيه ، وهو يقول :

ــ وما شأن سيّارتى الرائعة ؟.. كل السّيارات ، حتى الفاخرة منها ، معرَّضة لمثل هذا الموقف .

ضحكت مرَّة أخرى ، وهى تقول :

ــ بالطبع .

هبط من السّيارة ، واتجه إلى حقيبتها الخلفية ، وهو يقول :

ــ سترين أن الأمر لن يستغرق سوى خمس دقائق ، تعود بعدها سيّارتى الصغيرة للانطلاق بسرعة الصاروخ .

لم تستطع منع ضحكتها المرحة ، هذه المرّة أيضاً ، وهى تقول :

ــ لست أشك فى ذلك .

فتح حقيبة سيّارته الخلفية ، وأخرج منها رافع السّيارة ، ومفتاح الإطارات ، وأسرع يثبّت رافع السيارة فى الجزء المخصّص له إلى جانبها .. ولكنه لم يكد يبدأ فى استخدامه ، حتى سمعت (عُلا) صوتاً مزعجاً ، غمغم (عصام) بعدها فى ارتباك حانق :

ــ اللّعنة على هذه الصناعات الرديئة !!

أخرجت (عُلا) رأسها من نافذة السّيارة ، وهى تسأله :

ــ ماذا حدث ؟

أجابها فى سخط :

ــ لقد تحطّم الرافع ..

ابتسمت وهى تقول :

ــ لابأس .. يمكنك استعارة آخر .

هتف فى عصبيّة :

ــ كيف ؟.. إن المنطقة تبدو ساكنة ، كأنما هى مدينة مهجورة .

قالت فى جدّية :

ــ يمكنك استعارته من والد صديقتى (منال) ، إنهم يسكنون الشّقة رقم (تسعة) ، فى الطابق الثالث .

تضرّج وجهه بحُمرة الخجل ، وهو يقول :

ــ بالطبع .. إنها مصادفة سخيفة .. أليس كذلك ؟

ودون أن ينتظر جوابها ، أسرع يصعد فى درجات سُلّم البناية ، لاستعارة الرافع ، وتنهّدت (عُلا) وهى تجلس داخل السّيارة ، وغمغمت :

ـــ لا تكابر ياأستاذ (عصام) ، عليك أن تعترف بأن سيارتك قديمة .

جذبها السكون والظلام ، المخيِّمَيْن على المكان ، فلاذت بالصمت بدورها ، وأخذت تسبح بعينيها فى أرجاء الحىّ ، حتى توقَّف بصرها عند نافذة مضاءة ، فى الطابق الثانى من بناية صغيرة أنيقة ، وابتسمت وهى تغمغم .

ـــ لولا هذه النافذة ، لكان المكان أشبه بمدينة مهجورة بالفعل ، كما قال الأستاذ (عصام) .

توقَّف بصرها عند النافذة طويلاً ، وقبل أن تبعد عينيها عنها ، رأت فجأة رجلاً يندفع إليها من الداخل ، ويتعلَّق بحافتها ، وكأنما يهمّ بالقفز منها ، فاتسعت عيناها فى دهشة ، وهى تحدِّق فى النافذة ، التى تقع على بعد أمتار قليلة منها ، وخفق قلبها فى قوة ، حينما رأت شخصاً ثانياً ، ينقضّ على الأوَّل ، ويحيط عنقه بذراعه فى شراسة ، ويجذبه إليه ، ورأت الرجلين يشتبكان فى صراع عنيف ، وقتال وحشىّ ، حتى تخلَّص الأوَّل من ذراعَى الثانى ، وأسرع مرَّة أخرى نحو النافذة ..

.. كانت عينا (عُلا) متصلِّبتين ، ملتصقتين بما يحدث ،

وحلقها جاف يابس ، حتى رأت الرجل الثانى يخرج من جيبه مسدَّسًا ، ويصوِّبه إلى رأس الأوَّل ، الذى كاد يقفز خارج النافذة ..

.. ولم تسمع (عُلا) صوت رصاصة ، فقط صوت اندفاع هواء مكتوم ، ورأت فوَّهة مسدَّس الرجل الثانى تتألَّق بلهب ودُخان ، ثم شاهدت الرجل الأوَّل يترنَّح ، ويلوِّح بذراعيه فى الهواء ، وبقعة كبيرة من الدم تغطِّى وجهه ، ثم يسقط داخل المكان ..

.. وهنا صرخت (عُلا) ..

.. أطلقت صرخة من أعمق أعماق قلبها ، انتزعت كل رعبها وجزعها ، وألقتهما عبْر حلقها ..

.. ودَوَّت صرختها كالقنبلة ، وسط سكون الحىّ ، وتردَّد صداها طويلًا ..

.. أو هكذا خُيِّل إليها ..

.. والتفت إليها الرجل الذى يمسك بالمسدَّس ، وعلى ضوء مدخل بناية صديقتها رأى وجهها فى وضوح .

.. وهى أيضًا رأت وجهه .

.. وجهه الطويل الشاحب ، وأنفه الحادّ ، وفمه الواسع ، وشعره الأسود الفاحم الطويل ..

حتى رأت الرجل الثانى يخرج من جيبه مسدسًا ، ويصوّبه
إلى رأس الأول ، الذى كاد يقفز خارج النافذة ..

.. رأت عينيه ..

.. عينيه اللتين يطلّ منهما غضب الدنيا كلها ، وتتراقص فيها شياطين الوحشية والشراسة ..

.. ومرّة أخرى أطلقت (عُلا) صرخة رُعب هائلة ، وأخفت وجهها بكفّيها ، وكأنما تحجب عنهما ذلك الوجه المخيف القاسى ..

.. ولم تدرِ كم مرَّ من الوقت ، وهى تصرخ ، وتنتحب ، وتنتفض ، إلّا أنها سمعت فجأة صوت (عصام) يصيح فى جَزَع :

ــ ماذا حدث يا (عُلا) ؟.. ماذا هناك ؟

فتحت عينيها لتجد أمامها (عصام) و (منال) ، ووالدها ، ووالدتها ، وعشرات من سكّان الحىّ ، فصاحت وهى ترتجف فى رُعب :

ــ جريمة قتل !.. لقد رأيت جريمة قتل .

اتسعت عيون الجميع فى ذهول ، وأمسك (عصام) كتفيها ، وهو يقول فى انفعال :

ــ أين يا (عُلا) ، وكيف ؟

أشارت إلى النافذة ، وهى تهتف :

ـ هناك .. لقد رأيت ....

ولكن الكلمات احتبست فجأة فى حلقها ، فقد كانت النافذة مطفأة ، مغلقة ، وكان الحىُ ، كما كان ، يسبح فى السكون والصَّمت ... والظلام ..

* * *

٢ ـ الخيال القاتل ..

ناولت والدة (منال) (عُلا) كوباً من عصير الليمون ، وربَّتت على كتفها فى حنان ، وهى تقول فى إشفاق :

ـ تناولى هذا يا بنيَّتى .. إنه سيعيد إليك هدوء أعصابك .

تناولت (عُلا) كوب العصير بأصابع مرتجفة ، فى حين قال والد (منال) فى توتُّر :

ـ لقد اتصلت بوالدك العقيد (خيرى) يابنيَّتى ، وسيأتى هو وشقيقك (عماد) بعد قليل .

أرمأت (عُلا) برأسها فى صمت ، وسألها (عصام) فى مزيج من القلق والاهتمام :

ـ والآن ماذا رأيت يا (عُلا) ؟.. ماذا حدث ؟

ازدردت لُعابها فى صعوبة ، ثم اندفعت تُروِى لهم كل مارأته ، وهى تجلس منكمشة ، على مقعد كبير ، فى رَدْهَة منزل صديقتها (منال) ، واستمع إليها الجميع فى اهتمام ، حتى انتهت من روايتها ، فهتف (عصام) فى انفعال :

ـ ياإلهى !!.. لابدَّ من إبلاغ الشُّرطة على الفور ، إنها جريمة قتل واضحة المعالم .

أمسك والد (منال) بذراعه ، وهو يقول فى رصانة :

ـ رُوَيْدك يا أستاذ (عصام) .. دعْنا لا نتعجَّل ، ولنتأكَّد أوَّلاً من رواية الصغيرة .

صاح (عصام) :

ـ إننى لا أحتاج إلى التأكُّد ياسيِّدى .

غمغم الرجل فى ضيق :

ـ لا بأس من التَّروِّى قليلاً ، فأنت تعلم كم هوخصب خيال الصَّبيَّة ، فى مثل عمرها .

هزَّ (عصام) رأسه نفياً ، وقال فى إصرار :

ـ ليست (عُلا) ياسيِّدى .. إنها صبيَّة من نوع خاص ، يختلف عقلها كثيراً عن عقول من فى مثل عمرها .. وحينما تقول إنها قد رأت شيئاً ، فثِقْ أن هذا صحيح بنسبة مائة فى المائة .

تنهَّد الرجل ، وقال :

ـ ليس إلى هذا الحدّ يا أستاذ (عصام) ، لقد قالت إن القاتل قد أطلق النار على رأس القتيل ، فى حين أن أحداً لم يسمع صوت الرَّصاصة ، وغنىٌّ عن الذكر أن سكون

الحىّ وهدوءه ، كانا سيجعلان صوت الرصاصة كالقنبلة ، يدوّى فى كل ركن فى الحىّ .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول فى حدَّة :

ـ ربَّما كان القاتل يستخدم كاتماً للصوت .

ابتسم والد (منال) فى إشفاق ، وهو يقول :

ـ وهل هذا أمر بسيط أو معتاد ؟

ثم أشار إلى صدره ، مستطرداً فى ثقة :

ـ اسمع يا أستاذ (عصام) .. أنا ضابط جيش كما تعلم ، وخبير بالأسلحة ، وأؤكِّد لك أن كواتم الصوت الخاصَّة بالأسلحة النارية ، محظور بيعها أو تداولها تماماً ، وهى عسيرة المنال ، حتى بالنسبة لرجال الجيش أنفسهم .

هتفت (عُلا) فى إصرار :

ـ ولكننى رأيت ....

قاطعها والد (منال) فى هدوء :

ـ ربَّما يا صغيرتى ، ولكن هناك نقطة أخرى تدحَضُ كل هذا .

سأله (عصام) فى توتُّر :

ـ أيَّة نقطة ؟

أشار الرجل بيده إشارة مبهمة ، وهو يقول :

ــ تلك البِناية ، التى قالت (غلا) إن الجريمة قد حدثت فيها .

سأله (عصام) :

ــ ماذا عنها ؟

تنهَّد الرجل مُرة أخرى ، ثم قال فى حزم وبطء :

ــ إنها بِناية خالية .. لم يقطنها أحد حتى الآن ..

* * *

« بناية خالية ؟! » ..

عقد العقيد (خيرى) حاجبيه ، وهو ينطق هذه العبارة فى دهشة ، قبل أن يسأل والد (منال) فى اهتمام :

ــ هل أنت واثق من هذا ياسيِّدى ؟

أومأ والد (منال) برأسه إيجاباً ، وقال :

ــ تمام الثقة ياسيادة العقيد .. إنها كذلك .

ثم أسرع يستدرك :

ــ أو كانت كذلك ، حتى ظهر اليوم على الأقل .

مطَّ العقيد (خيرى) شفتيه ، وهو يقول :

ــ تقصد ظهر أمس ، فنحن فى الواحدة صباحاً الآن .

أسرع (عماد) ، الذى حضر بصحبة والده ، يسأل والد (منال) فى اهتمام :

ــ من يملك هذه البِناية ياسيِّدى ؟

أجابه الرجل فى هدوء :

ــ المهندس (هشام) ، ولكنه لا يقيم فيها .. فهو يعمل منذ ثلاثة أعوام فى المملكة العربية السعودية ، ويحضر فى الإجازات فقط .. ولقد انتهى من بناء البناية ، وتأثيثها فى العام الماضى فحسب ، ولم يقم فى شقته سوى أسبوعين ، عاد بعدها إلى عمله ، ولم يحن موعد إجازته التالية بعد ..

عاد (عماد) يسأله فى اهتمام :

ــ هل اعتاد تأجيرها مفروشة ؟

مطَّ الرجل شفتيه ، وقال :

ــ كلَّا ، وإلَّا كُنَّا قد رأينا سكَّانها على الأقل .

هتف (عصام) فى حنق :

ــ ألا ترون أننا نضيع الوقت ؟ .. لقد كان من الأفضل أن نتأكَّد من صحة رواية (غُلا) أوَّلا .

أومأ العقيد (خيرى) برأسه إيجاباً ، وقال :

ـــ بلاشك .. اطمئن يا أستاذ (عصام) .. سنفعل .. سنفعل على الفور .

* * *

كان من الواضح أن البناية خالية من السكّان تماماً ، فلم يستجب أحد لنداء العقيد (خيرى) ، حينما قرع ذلك الجرس ، المثبت أمام بوّابتها المعدنية المغلقة ، على الرغم من أنه قد واصل قرعه لربع ساعة كاملة ، حتى قال فى النهاية :

ـــ من الواضح أنه لا أحد يقيم هنا بالفعل يا (عُلا) .

صاحت (عُلا) فى إصرار ، على الرغم من نبراتها الدامغة :

ـــ ولكننى لم أكن واهمة يا أبى .. لقد رأيت ماحدث .

سألها (عصام) فى انفعال :

ـــ أأنت واثقة من أنها كانت هذه البِناية بالتحديد ؟

هتفت فى مرارة :

ـــ تمام الثقة ، فهى البِناية الوحيدة المكوّنة من طابقين ، فى المنطقة كلها ، ولقد رأيت ماحدث فى نافذة الطابق الثانى بالتحديد .

قال (عماد) ، وهو يفكّر فى عمق :

ـــ ماذا لو أن الجريمة قد حدثت بين لصّين أتيا لسرقة الشقة ، ثم اختلفا ، وتشاجرا ، وقتل أحدهما الآخر ؟

هزّ والده رأسه نفيًا ، وقال فى رصانة :

ـــ هذا لا يتفق مع استخدام مسدّس كاتم للصوت يا(عماد) .

غمغم (عصام) فى ضيق :

ـــ من يدرى ؟

ثم اندفع يقول فى حِدّة :

ـــ إننى أثِقُ فى الواقع فى كل كلمة قالتها (عُلا) ، فتعاونى الطويل معها ومع شقيقها ، جعلنى أوقِن من رجاحة عقليهما ، وأثِقُ فى قولهما تماماً .

تنهدَّ العقيد (خيرى) ، وقلّب كفّيه ، وهو يقول :

ـــ لن تبلغ ثقتك بهما مبلغى ، ولكن لايوجد دليل واحد يقودنا إلى شىء ما ، يثبت وقوع هذه الجريمة .

قال (عماد) فى حماس :

ـــ ربّما لو قمنا بتفتيش البِناية ..

قاطعه العقيد (خيرى) :

ـــ لن يمكننا استصدار أمر بهذا ، دون دليل أو دافع يا (عماد) .

هتف (عصام) فجأة :

ــ إذن فالدافع وحده ينقصكم يا رجال الشُرطة !

عقد العقيد (خيرى) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ــ القانون هو القانون يا أستاذ (عصام) .

صاح (عصام) فى حَنَق :

ــ حسناً .. فلنفعلها بالقانون .

ثم اتجه إلى هاتف عمومىّ ، معلّق على حامل قريب ، ووضع فى فتحته العلوية قطعة نقد فضّيّة صغيرة ، وأدار قرصه ثلاث مرّات ، وانتظر لحظة ، ثم قال فى انفعال :

ــ الشُرطة !.. أريد أن أبلغ عن جريمة .. جريمة قتل فى (المعادى) ..

* * *

ثم اتجه إلى هاتف عمومىّ ، معلّق على حامل قريب ..

٣ ــ بلا أدلَّة ..

لم تكد تمضى ساعة واحدة ، بعد بلاغ (عصام) حتى ازدحم المكان برجال الشُرطة ، وفريق البحث الجنائى ، وأصدر وكيل النيابة أمره باقتحام الشقة وتفتيشها ، وابتسم العقيد (خيرى) ، حينما رأى (عصام) ، وهو يقول لضابط الشرطة ، المكلَّف دراسة القضية فى هدوء :

ــ نعم .. لقد رأيت جريمة قتل تُرتكب هنا ، كما وصفتها لك بالضبط ، ولم أكد أتصل برجال الشرطة ، حتى أطفئت النافذة ، وأغلقت ، وباتت البِناية كأنها مهجورة تماماً .

همس العقيد (خيرى) فى أذنه :

ــ يمكننى أن أتَّهمك بشهادة الزُّور أيها الصحفى .

غمغم (عصام) فى حَنَق :

ــ لا بأس ، مادامت هذه هى الوسيلة الوحيدة لتحقيق العدالة ياسيادة العقيد .

عاد الضابط يسأل (عصام) فى اهتمام :

ــ كيف تبرِّر أن أحداً لم يسمع دوى الرصاصة ؟

أجابه (عصام) فى هدوء :

ــ كان القاتل يستخدم كاتماً للصوت .

ابتسم الضابط ، وهو يسأله :

ــ هكذا ؟!.. وما شكل كاتم الصوت هذا ؟

ارتبك (عصام) ، وهو يقول :

ــ لقد كان يستخدمه بالتأكيد ، وإلَّا فكيف تبرِّر عدم سماع الرَّصاصة ؟

هزَّ الضابط كتفيه ، وقال :

ــ إننى أنتظر الجواب منك يا أستاذ (عصام) .

اختلس (عصام) النظر إلى (عماد) و(عُلا) ، ولم يكد يلمح الحَيْرة فى ملامح (عُلا) ، حتى غمغم فى حَنَق :

ــ ابحث أنت عن الجواب أيها الضابط .. إنها مهمَّتك .

أومأ الضابط برأسه إيجاباً ، وقال فى هدوء :

ــ سنفعل يا أستاذ (عصام) .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى جاء أحد رجال البحث الجنائى ، يقول :

ـ لقد فتحنا البوّابة يا حضرة الضابط ، وكذلك الشقة .

سأله (عصام) فى اهتمام :

ـ هل عثرتم على القتيل ؟

هزَّ الرجل رأسه نفياً ، وقال فى هدوء :

ـ كلَّا .. إننا لم نعثر على شىء .

ثم استطرد فى ضيق :

ـ كل الأدلَّة تؤكّد أننا قد اقتحمنا شقة خالية .. خالية تماماً ..

* * *

تطلَّع ضابط الشرطة من النافذة ، التى رأت (غلا) الحادث يرتكب فيها ، وهو يحرص على ألا يمسّ شيئاً ، وهو يقول لـ (عصام) فى هدوء .

ـ إذن فقد رأيت رجلاً يُقتل هنا .

أجابه (عصام) فى حزم :

ـ نعم .

التفت الضابط إلى رجال البحث الجنائى ، وسألهم فى اهتمام :

ـ ماذا وجدتم ؟

هزَّ أحدهم رأسه نفياً ، وقال وهو يرمق (عصام) بنظرة غاضبة :

ـ لاشىء .. لاشىء على الإطلاق .

هتف (عصام) فى حَنَق :

ـ ماذا تعنى ؟.. إنك ستجد بالتأكيد آثار دماء ، أو بصمات على حافة النافذة .. أو ....

قاطعه رجل البحث الجنائى فى صرامة :

ـ إننا لم نجد أدنى أثر لذلك يا أستاذ (عصام) .

سأله الضابط فى اهتمام :

ـ إذن فأنت واثق من أنه لم تحدث هنا أيّة جريمة .

أومأ الرجل برأسه إيجاباً ، وقال :

ـ تمام الثقة .

هتف (عصام) فى حَنَق :

ـ كيف ؟!.. أنا أيضاً واثق من حدوث جريمة هنا و....

قاطعه الضابط فى صرامة :

ـ معذرة ياأستاذ (عصام) ، ولكننى مضطر لإلقاء القبض عليك .

اتسعت عينا (عصام) ، وهو يهتف فى جَزَع :

ــ علىَّ أنا ؟!

أجابه الضابط فى صرامة :

ــ نعم .. بتهمة إزعاج السلطات بلا مبرر ..

* * *

استقبل العقيد (خيرى) وولداه (عماد) و(غُلا) (عصام) ، وهو يغادر قسم الشرطة ، فى الرابعة صباحاً ، وقال العقيد (خيرى) فى أسف :

ــ يؤسفنى ما حدث ياأستاذ (عصام) ، ولكنك أنت أوقعت نفسك فى هذا .

أجابه (عصام) فى بساطة :

ــ لم يكن أمامى سوى ذلك ياسيادة المقدّم ، فأنا واثق تماماً ، على الرغم من كل ماحدث ، من أن (غلا) قد رأت جريمة قتل ، ولو أننى أخبرت الضابط بذلك ، ما صدّق رواية (غُلا) .. أما حينما أدعى أننى أنا الذى رأى الجريمة ، فستكون الفرصة أكبر .

غمغمت (غُلا) فى حزن :

ــ ولكنك متَّهم الآن بجريمة إزعاج السلطات .

ابتسم وهو يقول :

ــ لا عليك ياصغيرتى ، سأضيف ذلك إلى كشف متاعب مهنة الصحافة .

صافحه العقيد (خيرى) ، وهو يقول :

ــ شكراً لموقفك ياأستاذ (عصام) ، ولكننى أعتقد أن هذه القضية مجرَّد فقّاعة فارغة .

أطرقت (غُلا) برأسها فى حزن ، وأشاح (عماد) بوجهه فى ضيق ، فى حين قال (عصام) فى صرامة :

ــ هذا ماتظنه ياسيادة العقيد .

ثم أردف فى حزم :

ــ لو أن الشرطة الرسميّة قد تخلّت عن هذه القضية ، لعدم كفاية الأدلّة ، فسيتكفّل بها فريق (ع × ٢) ..

تألّقت عينا (عماد) و (غُلا) فى حماس ، وهو يردف فى ثقة :

ــ بلا أدلّة .

* * *

٤ ــ خبطة صحفيَّة ..

حدَّق رئيس قسم الحوادث فى وجه (عصام) فى دهشة ، وألقى الورقة التى يمسك بها على سطح مكتبه فى حَنَق ، وهو يقول :

ــ ما هذا الهُرَاء يا (عصام) ؟.. هل تنوى حقًا نشر هذا الموضوع ؟

أجابه (عصام) فى حزم :

ــ نعم يا سيِّدى .. سأعدِّل أسلوب تحقيقاتى ، سأجعل القارىء يشاركنى كل خُطْوة و ....

قاطعه رئيسه فى حِدَّة :

ــ وماذا ؟!.. إنك ستدخل القارىء فى متاهات لامبرِّر لها ، ودون أدلَّة .

ضغط (عصام) أسنانه بعضها ببعض ، وهو يقول فى حَنَق :

ــ نشر الموضوع ، فى حدِّ ذاته ، قد يأتى بالأدلَّة يا سيِّدى .

هتف رئيسه فى غضب :

ــ أدلَّة على ماذا يا(عصام) ؟.. من الواضح أن الأمر كله هو خيالات طفلة .. فحتى إدارة البحث الجنائى لم تجد دليلاً واحداً ، كما تقول فى موضوعك .

مال (عصام) نحوه ، وبدا مفْعَماً بالتوتُّر والحماس ، وهو يقول :

ــ اسمع ياسيِّدى .. لقد حصلت من (عُلا) على وصف دقيق للقتيل ، ومثله للقاتل ، ونشر هذا التحقيق قد يوصلنا إلى أحدهما و ....

قاطعه رئيسه فى حَنَق :

ــ كلَّا يا (عصام) .. إننى أرفض نشر مثل هذا الهُرَاء .

اعتدل (عصام) وعقد حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ــ فى هذه الحالة ، سأفعل كل ما بوسعى ، لأنشره فى جريدة أخرى .

سأله رئيسه فى غضب :

ــ ماذا تعْنى ؟

أجابه (عصام) فى حَنَق :

ــ أعْنِى أننى سأتقدَّم باستقالتى .

تقافزت شياطين الغضب فى وجه رئيس القسم ، ثم لم تلبث أن استكانت وهدأت ، ولانت ملامح الرجل ، وهو يعقِد كفَّيه أمام وجهه ، ويزفر فى ضيق ، ثم قال :

ــ أنت حرّ فى تقديم استقالتك ، فأنا لا أستطيع نشر هذا الموضوع .

قال (عصام) فى صرامة :

ــ فى هذه الحالة أجدنى مضطرًّا لـ....

قاطعه رئيس القسم ، وهو يستدرك فى سرعة :

ــ ولكن هناك وسيلة أخرى .

سأله (عصام) فى اهتمام :

ــ ماهى ؟

اعتدل رئيس القسم ، وهو يقول :

ــ هل تعرف (إسماعيل) ؟.. رسّام الجريدة .. إنه فنان مبدع ، ولو أن (عُلا) تذكر ملامح الرجلين جيِّداً ، وتصفها له بدقَّة ، فسيمكنه أن يرسم صورتيهما ، ثم نضعها فى برواز خاص ، ونطلب ممن يعرفهما من القراء أن يبلغنا بمالديه من معلومات عنهما و ....

قاطعه (عصام) هذه المرَّة ، وهو يهتف فى حماس :

ــ فكرة رائعة يا سيِّدى .

ثم اندفع بسرعة نحو الباب ، فسأله رئيسه فى دهشة :

ــ إلى أين ؟

أجابه فى حماس :

ــ لست أرغب فى إضاعة لحظة واحدة يا سيِّدى ، فلابُد أن ينتهى (إسماعيل) من رسم الصورتين ، قبل مثول صحيفة الغد للطبع .. إنها ستكون خبطة صحفية رائعة .

وقبل أن ينبس رئيسه ببنتِ شفَة ، كان قد غادر القسم فى خطوات كالعَدْو ..

* * *

« نعم .. إنهما هما » ..

نطقت (عُلا) هذه العبارة فى ارتياح ، بعد ساعة كاملة من الشرح ، والمحاولات ، لهثت خلالها ريشة (إسماعيل) ، خلف الأوصاف والتعديلات ، التى تتدفَّق من بين شفَتَىْ (عُلا) ، حتى وصلت أخيراً إلى ملامح الرجلين ، فتنهَّد (إسماعيل) ، وهو يقول :

ــ أأنت واثقة ؟

هتفت فى حماس :

ــ نعم .. إنهما هما .. هذا الوسيم هو القتيل ، وذلك الشَّرس هو القاتل .

هتف (عصام) فى إعجاب :

ــ أنت فنان رائع يا (إسماعيل) .

ثم أردف فى حماس :

ــ أسرع بالرسمين إلى الجريدة ، واطلب من الرئيس وضعهما فى مكان بارز ، داخل إطار أبيض كبير .

غادر (إسماعيل) منزل (عماد) و (غُلا) متبرّماً ، فى حين قالت (غُلا) لـ (عصام) :

ــ أشكر لك ثقتك يا أستاذ (عصام) .

أجابها فى حماس :

ــ لايمكننى أن أشك فى أى شىء تقولانه يانانى (ع × ٢) .

سأله (عماد) فى اهتمام :

ــ والآن سننتظر ماسيسفر عنه نشر الصورتين و....

قاطعه (عصام) قائلاً :

ــ كلّا يا (عماد) .. إننا لن نتوقّف عن الحركة .

سألته (غلا) فى قلق :

ــ ماذا ترى أن تفعل ؟

ابتسم ، وتألّقت عيناه ، وهو يقول :

ــ سأعالج هذه القضية بطريقتى هذه المرّة يا صديقىّ ، وسأثبت لكما أننى أستحقّ الانضمام إلى فريق (ع×٢) ..

* * *

جلس الدكتور (على) ، الطبيب الشرعى الشاب ، إلى جوار (عصام) فى سيارة هذا الأخير ، التى تنطلق بهما إلى المعادى ، ونقر بأصابعه على طرف مقعده فى توتُّر ، قبل أن يسأل (عصام) فى قلق :

ــ ألم يحن الوقت بعد لتخبرنى فيمَ تريدنى ، وإلى أين نحن ذاهبون ؟

أجابه (عصام) فى هدوء :

ــ إننى أحتاج إلى مهارتك ، لإثبات وقوع جريمة قتل .

رفع الدكتور (على) حاجبيه ، وهو يهتف فى دهشة :

ــ جريمة قتل ؟! .. ولماذا لم تبلغنا الشرطة بها ؟

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ الشرطة ترفض الاقتناع بوقوعها أصلاً .

سأله الدكتور (على) فى حَيْرة :

ـ ماذا تعْنى ؟

أجابه (عصام) :

ـ سأخبرك بكل شىء بالتفصيل يادكتور (على) ، فأنت تحمل لقب (ع × ٤) .. ولقد عاونتنا فى قضايا سابقة(*) .. المهم الآن أن تتقن أداء دورك .

غمغم الدكتور (على) فى توتُّر :

ـ ماذا تعْنى بأداء دَوْرِى ؟.. أهى مسرحية ؟

أجابه (عصام) فى حزم :

ـ نعم .. مسرحية هزليَّة ، يحاول البعض إتقان أداء البراعَة فيها ، ولكننا سنسدل على ألاعيبه الستار ، وسنفضح الرواية أمام الجمهور .

حدَّق الدكتور (على) فى وجهه بدهشة ، وقال :

ـ ماذا تقول ؟.. إننى لا أفهم شيئًا !!

قال (عصام) وهو يدلف بسيارته إلى حَىّ (المعادى) :

ـ لا تقلق يادكتور (على) ، ثِقْ بى ، وسأخبرك بكل شىء ، المهم أننى قد بحثت هذا الصباح عن السماسرة ، الذين يقطنون المنطقة ، وأبديت رغبتى فى استئجار أو شراء تلك

(*) راجع قضية (قطار الرُّعب) .. المغامرة رقم (١٧) .

البِنَاية ، التى وقعت فيها الجريمة .. ولقد علمت من أحدهم أن صاحبها مستعد لبيعها ، إذا ما حصل فيها على مبلغ مناسب .. ولقد أقنعت ذلك السمسار بأننى أودُّ شراءها ، ولكننى سأحضر مهندسى الخاص أوَّلاً ، للتأكُّد من متانتها .. ولقد وعدنى الرجل بإحضار مفاتيح البِنَايَة من شقيق صاحبها فى مدينة المهندسين ، على أن ألتقى به الآن ؛ لأشاهد البِنَاية من الداخل .

عقد الدكتور (على) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ إذن فمن المفروض أن ألعب أنا دور مهندسك الخاص .

أومأ (عصام) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ بالضبط .

سأله الدكتور (على) فى اهتمام :

ـ وما المفروض أن نبحث عنه بالضبط ؟

صمت (عصام) لحظة ، ثم أجاب فى هدوء :

ـ دماء .. آثار دماء على حافَةِ نافذة ..

* * *

أشار السمسار إلى الشقة الواسعة ، التى ارتُكِبَتْ فيها الجريمة ، وهو يقول فى لهجة حماسية ، وكلمات سريعة :

ـــ هأنتماذان تريان أمامكما شقة رائعة ، مؤثثة على أحدث طراز ، أثثها صاحبها ليقطنها ، إلاَّ أنه ابتاع فى الأشهر الماضية (فيلا) أنيقة على ناصية الشارع نفسه ، فقرَّر بعد تردُّد بيع هذه الشقة .. صدِّقانى .. إنها فرصة ذهبيَّة .

تجاهل (عصام) كلمات الرجل ، وهو يشير إلى نافذة الجريمة ، قائلاً فى هدوء :

ـــ عَلاَمَ تطلُّ هذه النافذة ؟

هتف السمسار فى حماس ، وهو يسرع لفتح النافذة :

ـــ إنها تطلُّ على الشارع الرئيسى .. إن المشهد من هنا رائع .

سأله (عصام) فى لهجة توحى بالرِّيبة :

ـــ أهى متينة ؟

هتف السمسار ، وهو يدقُّ على إطار النافذة فى قوة :

ـــ جدًا .. إنها بنَاية حديثة ، لم تتمَّ عامها الأوَّل بعد .

غمغم (عصام) ، وهو يتلفَّت حوله :

ـــ إنها فى الواقع نظيفة للغاية .

ثم أشار إلى النافذة ، قائلاً للدكتور (على) :

ـــ ما رأيك ؟

اقترب الدكتور (على) من النافذة ، وانحنى يفحصها فى اهتمام ، ثم أخرج من جيبه عدسة مكبِّرة راح يفحص بها إطار النافذة فى عناية بالغة ، فقال السمسار ، وهو يفرك كفَّيه فى توتُّر :

ـــ أؤكِّد لك أنها متينة .

أومأ الدكتور (على)برأسه إيجابًا ، واعتدل وهو يعيد عدسته المكبِّرة إلى جيبه ، قائلًا :

ـــ نعم .. إنها كذلك .

ثم التفت إلى (عصام) ، وهو يقول فى لهجة ذات مغزى :

ـــ إنها نظيفة تمامًا .

ازدرد (عصام) لُعابه فى صعوبة ، وهو يسأله فى توتُّر :

ـــ ماذا تعْنِى ؟

أجابه الدكتور (على) فى حزم :

ـــ أعْنِى أنه لا توجد بها أيَّة آثار .. أيَّة آثار على الإطلاق .

* * *

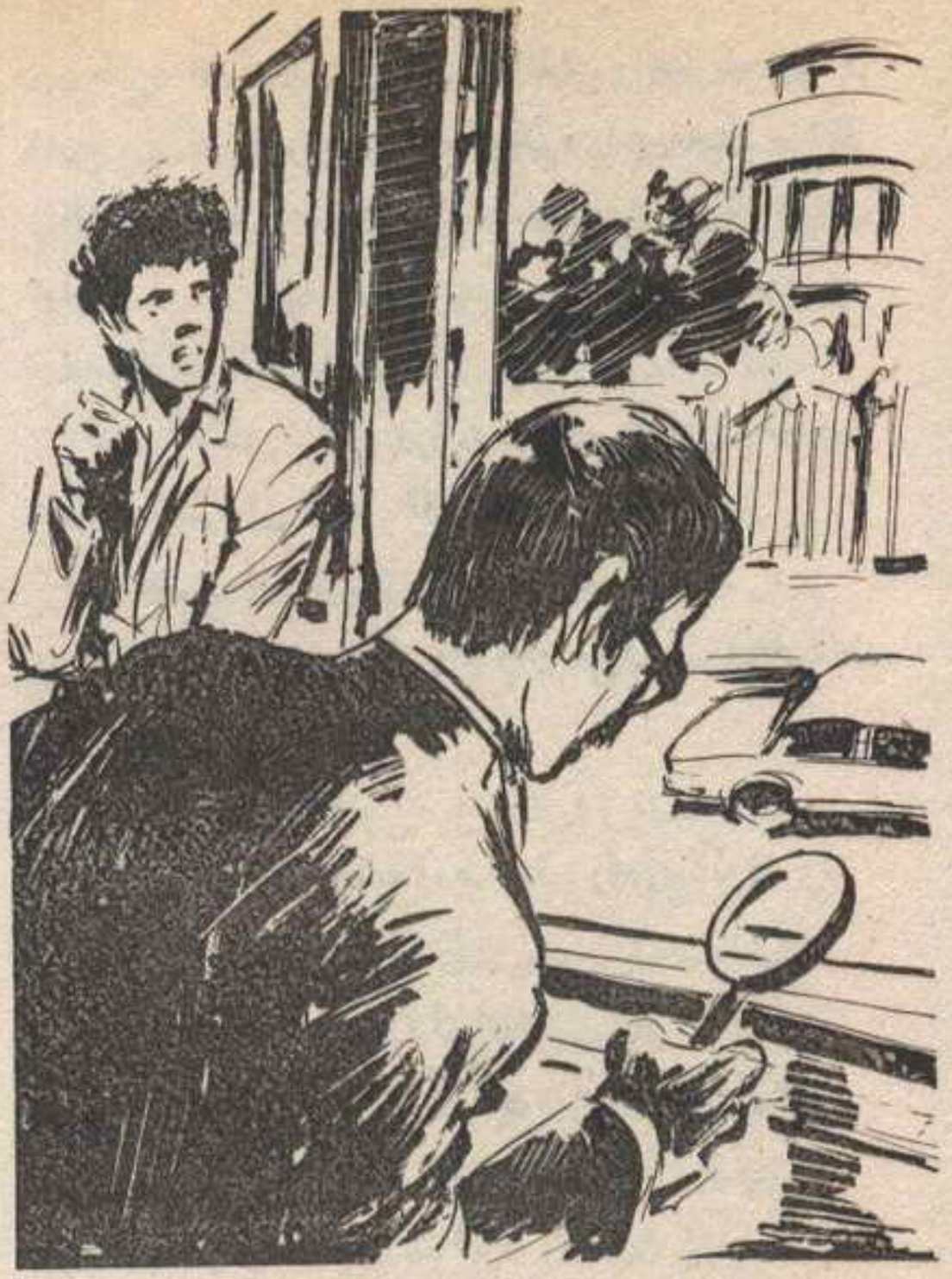

اقترب الدكتور (على) من النافذة ، وانحنى يفحصها فى اهتمام ، ثم أخرج من جيبه عدسة مكبرة راح يفحص بها إطار النافذة ..

٥ ــ الدليـــل ..

لزم (عصام) الصمت تمامًا ، طوال طريق العودة ، واحترم الدكتور (على) صمته ومشاعره ، فأطبق شفتيه طوال الطريق ، إلاَّ أنه لم يحتمل السكوت ، حينما توقَّف (عصام) أمام منزله ، فالتفت إليه يسأله فى إشفاق :

ــ هل تشعر بالضِّيق ؛ لأن نتائج بحثنا جاءت سلبيَّة ؟

غمغم (عصام) :

ــ بل بالدهشة .

رفع الدكتور (على) حاجبيه ، وهو يسأله :

ــ هل كنت تتوقَّع أن تعثر على بقع الدم ؟

التفت إليه (عصام) وهو يقول فى هدوء :

ــ بل كنت واثقًا من أننا سنجدها .

ابتسم الدكتور (على) فى إشفاق ، وهو يقول :

ــ صدِّقنى ياأستاذ (عصام) .. إن حافة النافذة نظيفة تمامًا ، لا يوجد بها أدنى أثر للدماء .

أومأ (عصام) برأسه ، وهو يقول :

ــ أعلم ذلك .

هبط الدكتور (على) من السيَّارة أمام منزله ، وتردَّد لحظة ، قبل أن يسأل (عصام) :

ــ أظن هذه نهاية البحث .. أليس كذلك ؟

زفر (عصام) ، وهو يقول فى هدوء :

ــ مطلقًا .

سأله الدكتور (على) فى حَيْرة :

ــ أتفُوق ثقتك فى الصغيرة كل الدلائل المادِّيَّة ؟

ابتسم (عصام) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

ــ بل أكثر من ذلك بكثير .

هزَّ الدكتور (على) رأسه فى إشفاق ، واعتدل وهو يقول :

ــ حسنًا .. كل ما أستطيع عمله هو أن أتمنَّى لك التوفيق .

غمغم (عصام) فى هدوء :

ــ شكرًا لتعاونك .

ثم انطلق بسيارته لا يلْوِى على شىء .

وفى طريقه إلى منزل (عماد) و (علا) ، راح عقل (عصام) يتصارع فى عنف مع مشاعره ..

لقد كانت كل القرائن والدلائل والبراهين تؤكِّد أن هذه

الجريمة لم تحدث ، وأنها لا تعدُو كَوْنها جريمة وهميَّة ، اختلقها عقل (عُلا) .. ولكن ثقة (عصام) الشديدة فى ذكاء (عُلا) ، وحسن إدراكها للأمور ، كانت تؤكِّد له العكس تمامًا ، وأن هذه الجريمة قد حدثت ..

ولكن كيف ؟

كيف يمكن أن تُرْتكبَ جريمة قتل ، دون أن تترك خلفها دليلاً واحدًا ؟..

كيف ؟..

لقد بدأ اليأس يجد طريقه إلى قلبه ..

يأس مدعوم بالدلائل والبراهين ..

يأس يهدم كل أعمدة الثقة والاقتناع ..

إنه يحتاج إلى دليل ..

دليل واحد يؤكِّدُ له أنه يسير فى الطريق الصحيح ..

إنه لا يطارد سرابًا ..

ولكن أين هو هذا الدليل ؟..

أين ؟..

* * *

ضربت (عُلا) مسند مقعدها بقبضتها الصغيرة فى مرارة ، وهى تقول فى يأس :

ـــ لابدَّ من وجود دليل ياأستاذ (عصام) .. دليل واحد على الأقل .. إننى لم أكن واهمة حينما رأيت ذلك .

تنهَّد (عصام) فى ضيق ، ولزم الصمت تمامًا ، فى حين قال (عماد) لشقيقته فى حزم :

ـــ اطمئنى يا(عُلا) .. أنا والأستاذ (عصام) نثق تمامًا ، فى أنك قد رأيت جريمة حقيقيَّة .. وكل ما فى الأمر هو أنَّ القاتل ، الذى نواجهه ، رجل بالغ الذكاء ، نجح فى براعة فى طمس كل الأدلة .. ولكن مهما بلغ ذكاء المجرم ، ومهما بلغت حُنكَته ، فسيترك خلفه حتمًا ولو دليلاً واحدًا .

غمغم (عصام) فى ضيق :

ـــ ليس فى هذه القضية يا(عماد) .

هتف (عماد) فى حماس :

ـــ لا توجد جريمة كاملة ياأستاذ (عصام) .. هناك حتمًا دليل ، فى مكان ما ، وسنعثر عليه إن عاجلاً أو آجلاً ، مادمنا نصرّ على المضىّ قُدمًا فى البحث .

قلَّب (عصام) كفَّيه ، وهو يقول :

ـــ إننى رهن إشارتكما .. فلقد نفدتْ كل وسائلى لتحرِّى الأمر ، وسأتبع أيَّة وسيلةٍ جديدة تريانها .

زانَ الصمت على ثلاثتهم طويلاً ، ثم قال (عماد) :

ـــ ما رأيكما لو أننا استرجعنا كل الأحداث ، خُطوةً خُطوةً .. قد يقودنا هذا إلى الدليل ، الذى قد يتوارى خلف موقف صغير ، أو حدث يبدو تافهًا .

لوَّح (عصام) بكفِّه ، وهو يقول :

ـــ لا بأس .. دَعْنا نسترجع كل شىء ..

بدأت (عُلا) برواية قصة مشاهدتها للجريمة بالتفصيل ، ثم انتقل (عماد) إلى تحقيقات الشرطة ، التى تلت ذلك .. وختم (عصام) الحديث برواية تفاصيل محاولته للبحث مع الدكتور (على) عن دليل ، إلى أن انتهى بقوله :

ـــ وجاءت النتيجة هذه المرَّة أيضًا سلبية ، فقد كانت الشقة نظيفة تمامًا ، وكذلك النافذة بحافتها الخارجية .

ساد الصمت بينهم مرَّة أخرى ، وكل منهم يسترجع التفاصيل فى ذهنه ، حتى رفع (عماد) و (علا) رأسيهما بغتة ، والتقت نظراتهما بعيون متألِّقة ، وهتفت (عُلا) فى انفعال :

— هل تقول إن الشقة كانت نظيفة تمامًا ؟

أجابها (عصام) فى دهشة :

— نعم .. وهذا طبيعى ، فنوافذها مُوصدة فى إحكام .

هتف (عماد) :

— وماذا عن إطار النافذة ؟

أجابه (عصام) فى حَيْرة :

— لقد كان نظيفًا كذلك .

تألّقت عينا (عماد) و (علا) مرّة أخرى ، وهتفت (عُلا) :

— هل رأيت فى حياتك كلها نافذة ، فى الطابق الثانى ، تطلُّ على شارع حيوىّ ، هجرها صاحبها منذ ما يقرب من عام ، ولكنها تظلّ — على الرغم من ذلك — نظيفة تمامًا .

تألّقت عينا (عصام) بدوْره ، وهو يقول فى انفعال :

— ياإلهى !!.. هل تعنين ...؟

قاطعه (عماد) فى حماس :

— من دون شك ياأستاذ (عصام) .. لقد كان من الطبيعى أن تكون حافة النافذة الخارجية مُتربة على الأقل ،

ولكن ماحدث هو أنها قد نُظّفت فى عناية بالغة ، لإزالة قذارتها وبعض الآثار غير المرغوب فيها .

أكملت (عُلا) فى انفعال :

— كآثار دماء مثلاً .

تألّقت عينا (عصام) فى شِدّة ، وهو يهتف فى حرارة :

— رائع ياصغيرتى !! !! هذا هو الدليل الذى كنت أنشده .

وَهبَّ من مقعده ، مستطرِدا فى حماس :

— الآن أيقنت أننى لا أطارد سرابًا ، وأن الجريمة قد حدثت بالفعل .

وانتفضت كل عروقه بالحماس ، وهو يردف :

— قد لا تقنع الشرطة بهذا الدليل ، ولكنه يكفينى لمواصلة البحث .

سألته (عُلا) فى حماس :

— ماذا ستفعل ؟

أجابها فى حزم :

— سأنتقل إلى المرحلة الثانية ، لقد أثبتنا الآن أن الجريمة قد وقعت ، وبقى أن نعرف إجابة أهمّ سؤالين .. من ؟.. ولماذا ؟..

* * *

٦ ــ مرحلة الخطر ..

جاء الصباح التالى مُشرقًا بالأمل ، فى عينى وقلب (عصام) ، بعد أن أيقن من أنه يسير فى الطريق الصحيح .. ولقد بدا هذا واضحًا جليًا ، وهو يدلف إلى قسم الحوادث مرحًا ، متهلل الأسارير ، حتى أن أحد زملائه ابتسم وهو يقول :

ــ ماذا حدث ؟.. هل توصلت إلى حل لغز القضية الجديدة ؟

أطلق (عصام) ضحكة صافية ، وهو يقول :

ــ تقريبًا .

ضحك زميله فى حَيْرة ، ثم أشار إلى مكتب (عصام) ، من خلف ظهره ، وهو يقول :

ــ حاول أن تنتهى منها فى سرعة ، فهناك زائر ينتظرك منذ ساعة كاملة ، ويبدو من تجهُّمه أنه يحمل إليك قضية جديدة .

تلاشى مرح (عصام) فجأة ، واكتست ملامحه بالجدّية ، وهو يدير عينيه إلى مكتبه ، ويوقفهما طويلاً على وجه الزائر ، الذى يجلس متجهمًا ، ينقر بأصابعه على سطح مكتب

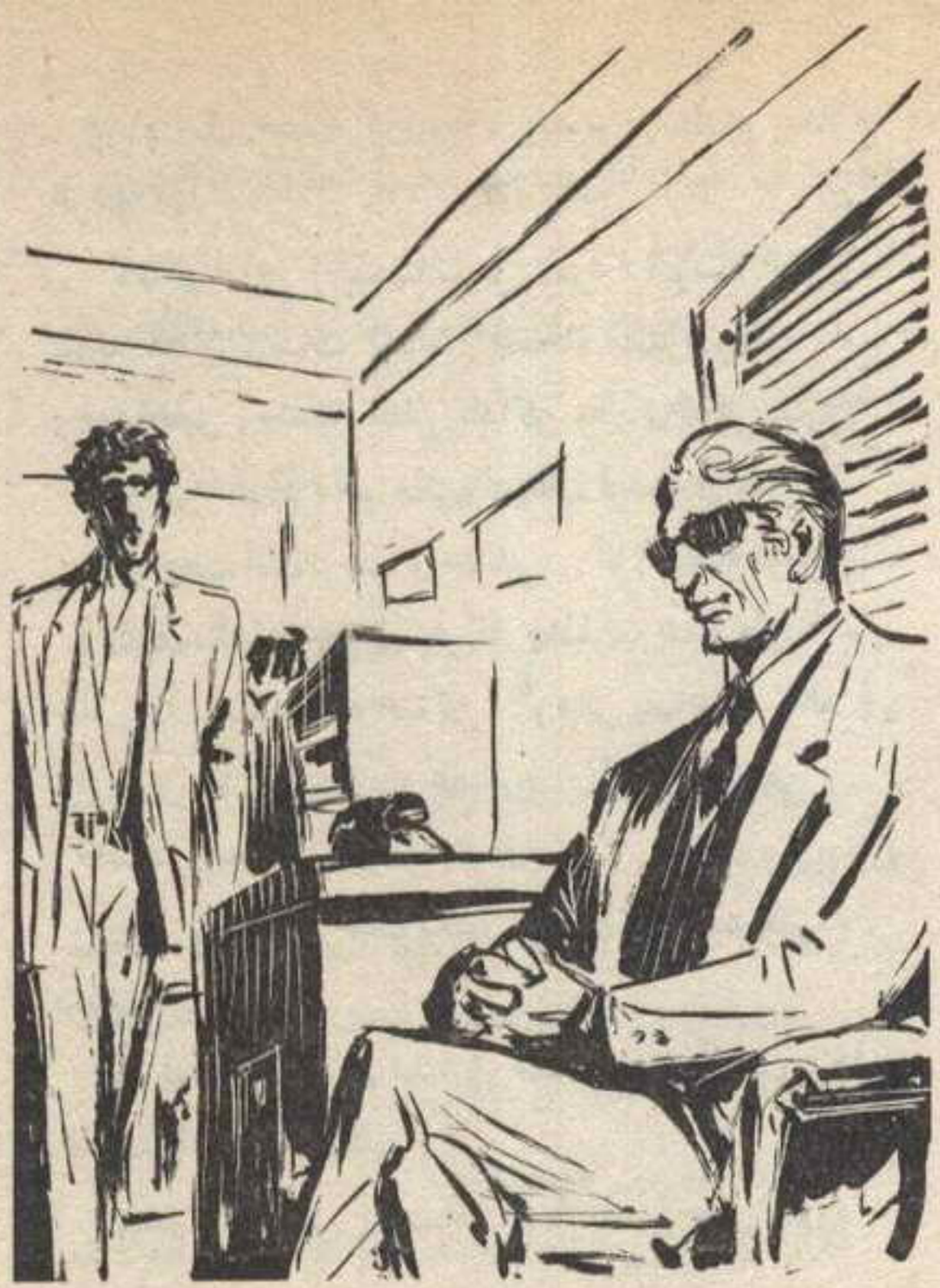

واكتست ملامحه بالجدّية ، وهو يدير عينيه إلى مكتبه ، ويوقفهما طويلًا على وجه الزائر ، الذى يجلس متجهمًا ..

(عصام) فى عصبيَّة واضحة ، وتفَّرس (عصام) ملامح الرجل جيّدا ..

كان فى أواخر الخمسينات من عمره ، متوسط الطول ، شديد التأنُّق ، شاب فَوْداه ، فمنحاه مظهرًا وقورًا ، مع وجهه الحليق ، والمنظار الطبّى الداكن ، الذى يُخفى عينيه ..

واتجه (عصام) نحو مكتبه ، وقال لزائره فى هدوء :

ــ سمعت أنك ترغب فى مقابلتى .. أنا (عصام كامل) .

التفت إليه الرجل فى حركة حادَّة ، وتأمَّله طويلاً من خلف عدسات منظاره الداكن ، ثم نهض يصافحه ، قائلاً :

ــ مرحبًا ياأستاذ (عصام) ، أنا (مصطفى) .. (مصطفى شعبان) ، رجل أعمال .

جلس (عصام) خلف مكتبه ، وهو يتأمَّل (مصطفى) ، مغمغمًا فى حَذر :

ــ لست أدرى لِمَ تبدو لى صفة (رجل أعمال) هذه غامضة ياسيِّد (مصطفى) !

ابتسم (مصطفى) ابتسامة مضطربة ، وجلس بدَوْرِهِ ، وهو يقول :

ــ ربّما كانت كذلك بالفعل ياأستاذ (عصام) ؛ لذا

اسمح لى أن أضيف أننى صاحب مكتب للتصدير والاستيراد ، فى قلب (القاهرة) .

استرخى (عصام) فى مقعده ، وشبَّك أصابع كفَّيْه أمام وجهه ، وهو يقول :

ــ تشرفنا ياأستاذ (مصطفى) .. ما الخدمة التى يمكننى تقديمها لك ؟

ازدَرَدَ الرجل لُعابه على نحو ملحوظ ، قبل أن يقول فى توتُّر :

ــ لقد جئتك بشأن الصورة ، التى نشرتها فى صفحتك هذا الصباح .

تحفَّزت حواس (عصام) كلها ، وهو يلتقط صحيفة اليوم ، ويفتحها فى حركة حادَّة ، ثم يضع صفحة الحوادث أمام عين الرجل ، قائلاً فى انفعال :

ــ أىَّ الصورتين تقصد ؟

أشار الرجل إلى صورة الشاب الوسيم ، وهو يقول فى توتُّر :

ــ هذا .

سأله (عصام) فى اهتمام :

ــ وماذا عن الآخر ؟

هزَّ الرجل رأسه ، وهو يجيب :

ــ لم أرهُ فى حياتى من قبل .

ثم مال نحو (عصام) ، مستطردًا فى صوت حائر قلق :

ــ ما الذى تريده من صاحب هذه الصورة ياأستاذ (عصام) ؟

كاد (عصام) يخبره بحقيقة الأمر ، إلاَّ أن هاجسًا فى أعماقه جعله يقول فى هدوء :

ــ إنه شاهد مهم فى جريمة ، ونحن نريد منه أن يتقدَّم ليدلى بشهادته .

سأله الرجل فى اهتمام :

ــ وأين حدثت هذه الجريمة ؟

رمقه (عصام) بنظرة متشكِّكة ، وهو يجيب فى حَذر :

ــ هنا .. فى (القاهرة) .

تجلَّت الحَيْرة فى عينى الرجل ، وهو يقول :

ــ ولكن هذا مستحيل ياأستاذ (عصام) .

سأله (عصام) فى حِدَّة :

ــ ولماذا مستحيل ؟

ازْدَرَدَ الرجل لعابه مرَّة أخرى ، ثم أجاب فى توتُّر :

ــ لأن هذا الشاب هو ابنى ، وهو يقيم فى (إيطاليا) منذ خمس سنوات كاملة ، ولم يطأ أرض (مصر) طوال هذه المدَّة أبدًا ، وحتى هذه اللحظة ..

* * *

مضت لحظة من صمت مُطْبق ثقيل ، حدَّق خلالها (عصام) فى وجه (مصطفى) فى ذهول ، قبل أن يهتف فجأة :

ــ مستحيل !!.. لقد كان ابنك هنا مساءَ أوَّل أمس بالتحديد .

هزَّ الرجل رأسه نفيًا ، وهو يقول فى تأكيد :

ــ قولك هذا هو المستحيل ياأستاذ (عصام) .

امتلأت نفس (عصام) بالدهشة والحَيْرة ، وهو يقول :

ــ هل .. هل أنت واثق من قولك هذا ؟

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ كل الثقة .

قال (عصام) فى حدَّة :

ـ لعله عاد فجأة .. أقصد دون أن يخبركم .

غمغم (مصطفى) فى حَيْرة :

ـ ولماذا يفعل ياأستاذ (عصام) ؟

حار (عصام) فى البحث عن جواب شافٍ ، فاكتفى بتقليب كفَّيْه فى حَيْرة ، مما دفع (مصطفى) إلى أن يقول فى توتُّر :

ـ اسمع ياأستاذ (عصام) .. إن نشرك هذه الصورة يسىء إلى سمعة ابنى ، وإلى سمعتى بالتبعية ، ولو لم تمنع نشرها فى أيَّة أعداد تالية ، دون إذن رسمىّ من النيابة ، فسأضطر لمقاضاتك ، ومقاضاة الجريدة أيضًا .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ ومن يثبت لى أنه ابنك ؟

تناول الرجل حافظته من جيب سترته الداخلىّ ، والتقط منها صورة فوتوجرافية قديمة ، وضعها أمام (عصام) ، وهو يقول فى عصبيَّة :

ـ هل تكفى هذه ؟

اتسعت عينا (عصام) ، وهو يحدِّق فى الصورة ، التى تضمّ (مصطفى) ، وابنه ، وسيِّدة فى منتصف الأربعينات ،

قدَّر (عصام) أنها زوجة (مصطفى) ، وأم الشاب الوسيم .. ومضت لحظات من الصمت ، قبل أن يعيد (عصام) الصورة إلى الرجل ، قائلاً فى إحباط :

ـ نعم .. إنها تكفى .

ثم استطرد فى لهجة متوتِّرة :

ـ ولكننى أحتاج لمعرفة المزيد عن ابنك ياسيِّد (مصطفى) .

سأله (مصطفى) فى قلق بالغ :

ـ لماذا ؟

تنهَّد (عصام) ، وهو يقول :

ـ سأخبرك ياسيِّد (مصطفى) .. سأخبرك بالقصة كلها .

* * *

امتقع وجه (مصطفى شعبان) فى شدَّة ، وهو يستمع إلى القصة ، من بين شفتى (عصام) ، وغاضت الدماء من وجهه تمامًا ، وهو يقول فى توتُّر عصبىّ :

ـ مستحيل ياأستاذ (عصام) .. مستحيل أن يكون

هذا القتيل هو ولدى .. قلت لك إن ولدى (نادر) يقيم فى (إيطاليا) منذ خمس سنوات .

سأله (عصام) فى اهتمام :

ــ وأى عمل يزاوله ولدك فى (إيطاليا) ياسيِّد (مصطفى) ؟

لوَّح (مصطفى) بكفَّيه ، وقال :

ــ إنه يتاجر فى السيارات المستعملة ، وهو ناجح فى عمله هناك للغاية .

تراجع (عصام) بمقعده ، واستند بظهره إلى النافذة الزجاجية الكبيرة ، التى تقع خلفه تمامًا ، وهو يقول :

ــ هل يمكننى أن أحصل على عنوانه ، ورقم هاتفه ؟

أجابه (مصطفى) فى توتر :

ــ بالطبع .

انحنى (عصام) إلى الأمام ؛ ليتناول من بين أوراقه ورقة بيضاء ، يدوِّن عليها العنوان ورقم الهاتف .. وفى نفس اللحظة تحطَّمت النافذة الزجاجية خلفه فى دوىٍّ شديد ، وتناثرت أجزاؤها فى أنحاء القسم ، وارتطمت رصاصة بالجدار المواجه لمكتب (عصام) تمامًا ، ثم سقطت أرضًا ..

وقفز (عصام) من مكانه ، ودفع (مصطفى) ، ليسقط الاثنان خلف مكتبه ، وقد ساد الهرج والمرج المكان ، وأسفرت القضية عن وجهها القبيح فى هذه المرحلة .. مرحلة الخطر ..

* * *

وقفز (عصام) من مكانه ، ودفع (مصطفى) ليسقط الاثنان خلف مكتبه ، وقد ساد الهرج والمرج المكان ..

٧ ــ الإيطــالىّ ..

وقف العقيد (خيرى) وسط قسم الحوادث بالجريدة ، يتطلع إلى النافذة المحطَّمة ، وإلى رجال البحث الجنائى ، الذين انهمكوا فى تحديد مسار الرصاصة ، ونقلها فى حرص وعناية إلى كيس صغير من (النايلون) ، ثم التفت إلى (عصام) يسأله :

ــ إذن فأنت تعتقد أنك المقصود بهذه الرصاصة .. أليس كذلك ؟

أجابه (عصام) فى حِدَّة :

ــ ما رأيك أنت ؟.. إننى أجلس عادةً وظهرى إلى النافذة ، ولقد كان المكتب المقابل لى خاليًا .

أشار العقيد (خيرى) إلى (مصطفى شعبان) ، الذى بدا شاحبًا ممتقعًا ، يلتقط أنفاسه فى صعوبة ، وقال فى هدوء :

ــ ربَّما كان هو المقصود بها .

عقد (عصام) ساعديه أمام صدره ، وهو يقول :

ــ وما السبب فى رأيك ؟

هَزَّ العقيد (خيرى) كتفيه ، وهو يقول :

ـ لدىَّ العديد من الأسباب .

ثم جلس على مقعد مجاور ، وهو يستطرد :

ـ أنت تقول إن (نادر) ، ابن السيد (مصطفى) ، قد قُتِلَ هنا ، وأخفيت الجريمة بمهارة فائقة ، ولكنك لم تبحث عن سبب هذا القتل .. فربَّما كان (نادر) يحمل سرًّا ما ، كان هو سبب قتله ، ولقد خشى قاتله أن يكون قد نقل السِّرَّ إلى والده ، فحاول قتله بدَوْرِهِ ، ليقتل معه هذا السِّر إلى الأبد .

هتف (مصطفى) فى انفعال :

ـ أى سرّ أيها العقيد ؟.. إننى أرفض حتى فكرة أن يكون ابنى قد قُتِل ، هنا أو فى أى مكان آخر .. فابنى مازال فى (إيطاليا) .

أجابه العقيد (خيرى) فى هدوء :

ـ لا بأس ياسيِّد (مصطفى) ، هذا أمر يسهل التأكُّد منه .

ثم التقط سمَّاعة الهاتف ، وطلب رقمًا ما ، وانتظر حتى جاءه صوت محدِّثه ، فقال فى حزم :

ـ أنا العقيد (خيرى) ، من المباحث الجنائية .. صباح

الخير أيها المقدم (عادل) .. اسمعنى جيِّدًا .. هل رأيت الصورتين المنشورتين فى صفحة الحوادث هذا الصباح؟.. عظيم .. إن إحداهما لشخص يُدعى (نادر مصطفى شعبان) .. أريد منك التأكد مما إذا كان قد دخل البلاد ، خلال الأسبوعين الماضيين أم لا .. أما الآخر ، فهو أجنبى على الأرجح ، وأريد منك أن تبحث فى سجلاتكم ، عمَّا إذا كان قد جاء إلى (مصر) ، وما إذا كان قد رحل أم لا .

وصمت لحظات ؛ ليستمع إلى محدِّثه من الطرف الآخر ، ثم أجاب فى هدوء :

ـ نعم .. يمكنك الاتصال بى ، عندما تتوصَّل إلى ذلك ، وسأنتظرك فى رقم ....

أخبره برقم هاتف الجريدة ، وقسم الحوادث ، ثم وضع سمَّاعة الهاتف ، والتفت إلى (مصطفى) يسأله :

ـ متى حدَّثت ابنك هاتفيًا ، لآخر مرة ، يا سيِّد (مصطفى) ؟

أجابه (مصطفى) فى توتر :

ـ منذ أربعة أيَّام .. فهو يداوم الاتصال بنا أسبوعيًا ، منذ سفره إلى (إيطاليا) .

سأله العقيد (خيرى) :

ـــ ألم تحاول الاتصال به ، بعد أن رأيت صورته فى الجريدة ؟

أجابه (عصام) فى انفعال :

ـــ لقد فعلت أنا ، من هاتف الجريدة الدولى ، فى أثناء انتظارنا لقدومكم ، ولكن هاتفه لا يجيب .

غمغم (مصطفى) فى توتُّر :

ـــ ربما كان فى عمله .

فتح العقيد (خيرى) شفتيه ، لينطق بأمر ما ، إلاَّ أن رنين الهاتف ارتفع فجأة ، فاختطف سَّماعته ، ووضعها على أذنه ، وهو يقول :

ـــ هنا العقيد (خيرى) .

وانعقد حاجباه ، وهو يستمع إلى محدِّثه فى صمت ، ثم لم يلبث أن غمغم :

ـــ حسنًا .. شكرًا أيها المقدم (عادل) .

ثم وضع سمَّاعة الهاتف ، والتفت إلى (مصطفى) ، قائلاً :

ـــ سجلاَّت الجوازات تؤكِّد أن ابنك لم يأت طوال خمس سنوات يا سيِّد (مصطفى) .

هتف (مصطفى) فى ارتياح :

ـــ ألم أقل لكم ؟

إلاَّ أن العقيد (خيرى) استطرد فى صرامة :

ـــ ولكن شخصًا يشبهه تمامًا وصل إلى (القاهرة) منذ ثلاثة أيام ، بجواز سفر (إيطالى) يحمل اسم (أنريكوفابونى) .

شحب وجه (مصطفى) ، وهو يقول فى صوت متحشرج :

ـــ إنه ليس ابنى .. ليس ابنى بالتأكيد .

اندفع (عصام) يسأل العقيد (خيرى) فى انفعال :

ـــ وماذا عن الآخر ؟

أجابه العقيد (خيرى) فى صرامة مماثلة :

ـــ لقد وصل إلى البلاد منذ ثلاثة أيام أيضًا ، وهو بدوْره إيطالى الجنسية ، يُدعى (بدرو امسيانى) .

تألَّقت عينا (عصام) ، وهو يهتف :

ـ إذن فما رأته (عُلا) لم يكن جريمة وهميّة ، لقد كان جريمة قتل حقيقية .

أومأ العقيد (خيرى) برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى حزم :

ـ نعم يا (عصام) .. إننا نواجه قاتِلاً محترفًا ، ارتكب جريمة غامضة فى أرضنا ، ولكن لماذا ؟..

هذا هو السؤال .

* * *

هزَّت (عُلا) رأسها فى حيْرة ، وهى تجلس مع (عماد) و (عصام) فى مبنى الهاتف العمومىّ ، وقالت فى دهشة :

ـ يالها من قضية غامضة !! كلّما أمسكنا بأحد خيوطها ، أفلتت منّا عشرات الخيوط الأخرى :

غمغم (عصام) :

ـ أعتقد أننا قد بلغنا مدًى مناسبًا يا (عُلا) .. فلقد توصّلنا إلى شخصية القاتل على الأقلّ .

سأله (عماد) :

ـ وماذا عن الآخر ؟.. أقصد القتيل .. من يكون لو أنه ليس (نادر) ؟

أجابه (عصام) فى حِدّة :

إننا لم نتأكّدْ بعدُ من أنه ليس هو ، فربّما كان هو صاحب ذلك الجواز ، الذى يحمل اسم (أنريكو) .. وقد جاء إلى هنا بجواز سفر مزوّر ، فرارًا من شىء ما .

سألته (عُلا) :

ـ وكيف يمكننا حسم هذا الأمر ؟

أشار إلى كابينة الهاتف ، وهو يقول :

ـ سنجرى محاولة أخرى للاتصال به يا (علا) ، وقد نُسفر عن جديد .

ارتفع فى تلك اللحظة صوت موظف الهاتف العمومى ، يعلن لـ(عصام) بدء محادثته لـ(إيطاليا) ، فقفز (عصام) إلى كابينة الهاتف ، ولحق به (عماد) و (علا) ، وهو يختطف سمّاعته ، هاتفًا :

ـ ألو .. هل يمكننى التحدُّث إلى (نادر مصطفى) ؟

أتاه عَبْرَ الأسلاك صوت هادئ يقول بالعربية :

ـ من يريده ؟.

هتف (عصام) فى توتر :

ـ إننى أحمل إليه أخبارًا من والده ، هل هو موجود ؟

مرّت لحظة من الصمت ، ثم جاء الصوت فى هدوء :

ــ أنا هو .. أنا (نادر مصطفى) .

اتسعت عينا (عصام) فى دهشة ، وهو يقول :

ــ أنت ؟! ولكن ....

عجز عن إتمام عبارته ، فلاذ بالصمت لحظة ، وغمغمت (عُلا) وهى تستدير فى توُتر :

ــ مستحيل أن يكون هو (نادر) .. إننى واثقة من أن القتيل هو (نادر) نفسه وأن .... بترت عبارتها فجأة ، واتسعت عيناها فى رُعب وذُهول ، فأمامها تمامًا ، وعبْر زجاج كابينة الهاتف ، كان هناك رجل يتطلّع إليها فى كراهية مخيفة ..

رجل له وجه شاحب طويل ، وأنف حادّ ، وشعر أسود ناعم طويل ..

كان الإيطالى القاتل ..

وفى قبضته ، وأسفل صحيفة يخفى بها يده ، رأت (عُلا) فوّهة مسدّس قاتلة ..

فُوّهة تحمل الموت ..

* * *

٨ ــ قاتل وسط الجماهير ..

صرخة قويّة أطلقتها (عُلا) من أعماقها ، حملت كل رُعبها وذُعرها إلى أذنى (عصام) ، وقلبه ، وأعماقه ..

لا أحد يدرى كيف اكتسب (عصام) كل هذه اللياقة ، والقوّة ، ولا كيف تحوّل فجأة إلى صورة مثالية للجُرأة ، وسرعة الاستجابة ، والحيويّة ..

لم تكد صرخة (عُلا) تنطلق ، حتى تخلّى هو عن سمّاعة الهاتف ، والتفت فى سرعة إلى حيث تحدّق هى فى رُعْب ..

وما أن وقع بصره على وجه الإيطالى ، حتى أدرك خطورة الموقف كله فى جزء من الثانية ، فدفع (عماد) و (علا) إلى أسفل ، وانحنى فى سرعة ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها رصاصة مكتومة ، من فُوّهة مُسدّس الإيطالى ، المزوّد بكاتم للصوت ، واخترقت زجاج الكابينة ، وأصابت الهاتف ، فوق رأس (عصام) تمامًا ..

وبكل جسارة ونشاط ، دفع (عصام) باب الكابينة المحطّم ، وانقضّ على الإيطالى ، الذى تراجع فى سرعة ومهارة ، شأن رجل اعتاد مواجهة المخاطر ، وحاول أن يطلق

رصاصة أخرى نحو صدر (عصام) تمامًا ، إلاَّ أن الصحفى انحنى فى مهارة ، وكال للرجل لكمة كالقنبلة ، أصابت فكَّه ، وأجبرته على مزيد من التراجع ، وهو يلوِّح بذراعيه ، وكأنَّما يحاول التشبُّث بشىء ما .. فأعقب (عصام) لكمته بأخرى ، أسقطت الإيطالى أرضًا ، وهو يطلق سبابًا ساخطًا ، باللغة الإيطالية ..

واندفع (عصام) يحاول الانقضاض على الإيطالى مرَّة ثانية ، إلاَّ أن الإيطالى رفع فُوَّهة مسدَّسه فى وجهه ، وصاح بالإيطالية فى غضب :

ــ إنك تستحقُّ الموت ، أيها الصحفى اللَّعين !!

وفى جُرأة عجيبة ، واستجابة رائعة ، غاص جسد (عصام) إلى أسفل ، واندفعت قدمه تركل مسدَّس الإيطالى ، الذى طار فى الهواء ، وسقط فى ركن قاعة الهاتف العمومية ، وسط الجماهير ، الذين تولَّاهم الفزَع ، فراحوا يصرخون ، ويعدُون فى كل الاتجاهات ..

وفجأة .. استعاد الإيطالى كل شراسته وحيويته ونشاطه ، وكأنما أصابه فقدان مسدَّسه بالجنون ، فقفز فجأة واقفًا على قدميه ، ولكم (عصام) فى معدته وفكَّه لكمتين قويَّتين

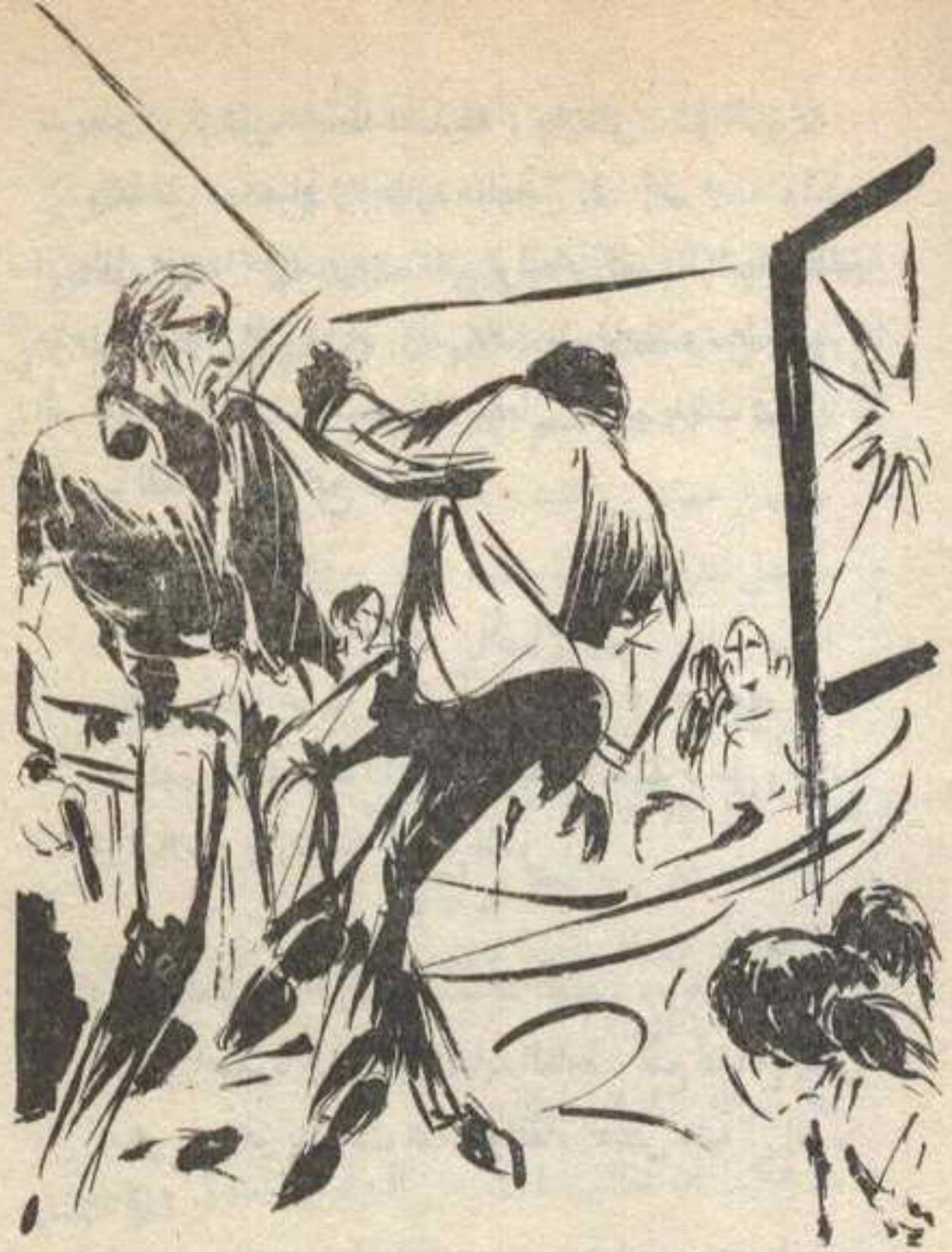

إلَّا أن الصحفى انحنى فى مهارة ، وكال للرجل لكمة كالقنبلة ، أصابت فكه ، وأجبرته على مزيد من التراجع ..

سريعتين ، ثم قفز ملتقطًا مسدّسه ، وانطلق يعدُو خارجًا ..

واندفع (عصام) يطارد الرَّجل فى إصرار ، ولكن الإيطالى قفز داخل سيارته ، التى ترك محرّكها دائرًا ، وانطلق بها فى مهارة المحترفين ، وسرعان ما غاب وسط جمهرة السيارات ، فهتف (عماد) فى انفعال ، وهو يلهث فى قوّة :

ــ لقد .. لقد نجح فى الفرار .

هتف (عصام) :

ــ إلى حين يا (عماد) .. إلى حين .

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يستطرد فى صرامة :

ــ المهم أنه قد ترك لنا دليلاً لا يقبل الشكّ ، على وجوده داخل البلاد ، وارتكابه لجريمة القتل .

* * *

وضع العقيد (خيرى) سمّاعة الهاتف ، وهو يقول :

ــ لقد أصدرنا قرارًا من النيابة العامة ، بمنع هذا الإيطالى من السفر ، وآخر بالبحث عنه ، وإلقاء القبض عليه .. إنه لن يفلت أبدًا .

تنهّد (عصام) وهو يقول :

ــ هذا ما أتعشّمه .

ربّت العقيد (خيرى) على كتفه ، وهو يقول :

ــ اطمئن يا أستاذ (عصام) .. إننا لن نسمح له بالفرار أبدًا .. فهذا الإيطالى هو ثروة حقيقية لنا .. فهو الدليل الوحيد على ارتكاب جريمة مجهولة ، لا نعلم شيئًا عن سببها ، أو مبرّرها ، أو حتى اسم القتيل فيها .

سأل (عماد) والده :

ــ هل تظن أن القتيل يشبه (نادر) إلى هذا الحدّ يا أبى ؟

أجابه والده ، بعد بُرهة من التفكير :

ــ ربّما يا (عماد) .. فما دام (نادر) قد أجابكم من (إيطاليا) ، فهو ليس القتيل بالتأكيد .

سألت (عُلا) والدها فى اهتمام :

ــ أهناك وسيلة لجمع بعض المعلومات عن (بدرو) الإيطالى هذا يا أبى ؟

مطّ الوالد شفتيه ، وقال :

ــ يمكننا أن نطلب ذلك من البوليس الدُّوَلى ، ولكنه سيستغرق بعض الوقت .

قال (عصام) فى هدوء :

ـ لدىّ وسيلة أكثر سرعة يا سيادة العقيد .

سأله العقيد (خيرى) :

ـ ما هى يا أستاذ (عصام) ؟

أجابه (عصام) فى هدوء :

ـ وكالات الأنباء .

كان سيكتفى بهذا الجواب المقتضب ، إلاَّ أنه بدا له مبتورًا ، وخاصَّة بالنسبة لمن لا يعلمون فى الوسط الصحفىّ ، فاستدرك فى هدوء :

ـ إن مكاتب وكالات الأنباء تنتشر فى كل العواصم الكبرى فى جميع أنحاء العالم تقريبًا ، ورجالها من أقدر الناس على جمع المعلومات ، وسأبرق إلى كل مكاتب وكالات الأنباء فى (إيطاليا) ، وأطلب منهم جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات ، عن (بدرو) هذا ، وسأرسل إليهم صورته بواسطة جهاز (الفاكسميلى) ، الذى يرسل الصور عن طريق خطوط الهاتف ، وسأحصل ولا شك على معلومات قيِّمة عنه .

وابتسم وهو يستطرد :

ـ إنه ـ كما قلت يا سيادة العقيد ـ ثروة .

تألَّقت عينا (عماد) و (عُلا) فجأة ، والتقت نظراتهما فى انفعال ، ثم هتفت (عُلا) فى حرارة وحماس :

ـ ثروة ؟!.. نعم هذا هو الحل .

سألها (عصام) فى انفعال :

ـ أى حل يا (عُلا) ؟

هتف (عماد) فى حماس :

ـ هذه الكلمة فتحت أمامنا اللغز كله يا أستاذ (عصام) .

سألهما العقيد (خيرى) فى اهتمام شديد :

ـ ما الذى كشفته هذه الكلمة يا صغيرىّ ؟

تبادلا نظراتهما الغامضة مرَّة أخرى ، ثم قالت (عُلا) :

ـ الأمر لم يحن بعد ، لكشف ما لدينا يا أبى ، فما زلنا نحتاج إلى بعض الأجوبة .

سألها (عصام) فى حنق :

ـ أيَّة أجوبة ؟

ابتسم (عماد) ، وهو يقول :

ـ سأخبرك بما نحتاج إليه يا أستاذ (عماد) ، وثِق أن النهاية قد باتت وشيكة .. إننى أُعنى نهاية قضية هذه الجريمة الوهميَّة .

* * *

٩ ــ أجـــوبة ..

لم تكن عقارب الساعة قد بلغت السابعة صباحًا بعد ، عندما فتح (مصطفى شعبان) باب منزله ، ووجد أمامه (عصام) ، فارتفع حاجباه فى دهشة ، وهو يقول :

ــ أستاذ (عصام)؟! مرحبًا بك .. تُرى ما سرُّ هذه الزيارة المبكرة .

قال (عصام) فى هدوء :

ــ إنه سؤال أردت معرفة إجابته منك يا سيِّد (مصطفى) .

أفسح له (مصطفى) طريق الدخول ، وهو يقول فى حرارة مفتعلة :

ــ على الرُّحب والسَّعة يا أستاذ (عصام) ، تفضَّل .

أومأ (عصام) برأسه ، وهو يقول فى بساطة :

ــ شكرًا لك .. إنه سؤال واحد فقط .

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى اهتمام :

ــ هل اتصل بك (نادر) أمس ؟

رفع (مصطفى) حاجبيه فى دهشة ، وقال فى قلق :

ــ كلَّا .. إنه لم يفعل .

وصمت وهلة ، ثم استدرك فى مزيد من القلق :

ــ هل كان من المفروض أن يفعل ؟

هزَّ (عصام) رأسه نفيًا فى هدوء ، وقال :

ــ كلَّا ياسيِّد (مصطفى) .. لم يكن من المفروض أن يفعل .

ثم أردف متسائلاً فى اهتمام :

ــ أين قضيت ليلة أمس ياسيِّد (مصطفى) ؟

امتلأت كل ملامح (مصطفى) بالتوتُّر والحَيْرة ، وهو يجيب فى قلق متزايد :

ــ هنا .. لقد أوَيْتُ أنا وزوجتى إلى فراشنا منذ السابعة والنصف ، ولم نغادر المنزل ، مكتفين بمشاهدة التِّليفزيون .

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

ــ شكرًا يا سيِّد (مصطفى) .. هذا يكفى .

واستدار يزمع الانصراف ، فاستوقفه (مصطفى) ، قائلاً فى توتُّر :

ــ ماذا هناك يا أستاذ (عصام)؟

اتسعت ابتسامة (عصام) ، وهو يجيب فى هدوء :

ــ لا شىء ياسيِّد (مصطفى) .. مجرَّد بحث عن أجوبة مناسبة .

وتألّقت فى عينه نظرة ظفر ، وهو يردف :

ــ أسئلة ستسدل السّتار على الفصل الأخير ، من قضية الجريمة الوهميَّة ..

* * *

تألّقت عيون (عماد) و (عُلا) فى ظفر ، حينما أعاد (عصام) على مسامعهما ذلك الحديث ، الذى دار بينه وبين والد (نادر) ، وقالت (عُلا) فى حماس :

ــ رائع !! هكذا تكون ثلاثة أرباع الحل قد اكتملت ، ولم يعُد أمامنا سوى الرُّبع الأخير .

جاءهما صوت والدهما ، وهو يدلف إلى حجرتهما ، قائلا :

ــ أرجو أن يكون فيما أحمله جواب الرُّبع الأخير ياولدىَّ .

سأله (عماد) فى اهتمام :

ــ هل أحضرت ما طلبناه يا والدى ؟

أومأ الوالد برأسه إيجابًا ، وقال وهو يناوله ورقة كبيرة :

ــ نعم يا (عماد) .. فى هذه الورقة ستجدان بيانًا بكل السرقات الكبيرة ، التى ارتُكِبتْ فى (إيطاليا) ، فى الشهرين الماضيين ، ولم يتمّ العثور على الفاعل فيها .

سألته (عُلا) :

ــ وماذا عن الإجراء الآخر ؟

أجابها فى هدوء ، وهو يجلس على مقعد مجاور لها :

ــ لقد تمَّ أيضًا يا (عُلا) ، على الرغم من غرابته .. فلقد أصدرت أمرًا برفع كل الحراسة والمراقبة من حول البِنَايَة .

تنهَّد (عماد) و (عُلا) فى ارتياح ، وقال (عماد) :

ــ بهذا يمكننا أن نقول إن جوانب الحل قد اكتملت .

رَانَ الصمت لحظة واحدة ، ثم قال الوالد فى ضيق :

ــ ألم يحن الوقت بعد ، لتخبرانا بما توصّلتما إليه يا صغيرىَّ ؟

ابتسم (عماد) و (عُلا) ، وقالت (عُلا) :

ــ بلى .. لقد حَان يا والدى .

وفى حماس متزايد ، راح الاثنان يشرحان لوالدهما و(عصام) ما توصّلا إليه، والاثنان يستمعان إليهما فى مزيج من

الدهشة والاعجاب ، حتى انتهيا ، فهتف (عصام) فى انفعال :

ــ رائع يا (عماد) !! عظيم يا (عُلا) .. لقد تفوَّقتما على نفسيكما هذه المرَّة .

قالت (عُلا) فى امتنان :

ــ لقد جاء كل هذا بفضل ثقتك فى قصتى منذ البداية يا أستاذ (عصام) .

وأكمل (عماد) قولها فى حرارة :

ــ إننا ندين لك بالفضل الأكبر فى هذه القضية يا أستاذ (عصام) .

ابتسم العقيد (خيرى) ، وهو يقول :

ــ هذا صحيح يا أستاذ (عصام) ، لقد كنت بطلاً حقيقيًا هذه المرَّة .

نهض (عصام) ، وتضرَّج وجهه بحمرة الخجل ، وهو يقول :

ــ إننى لا أستحقُّ كل هذا فى الواقع .

هتفت (عُلا) فى حرارة :

ــ بل تستحقُّ أكثر منه يا أستاذ (عصام) .

ابتسم (عصام) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

ــ حسنًا .. ما رأيكم لو طالبت بمكافأة فى مقابل ذلك ؟

سأله (عماد) فى دهشة :

ــ أيَّة مكافأة يا أستاذ (عصام) ؟

تطلَّع (عصام) عَبْرَ النافذة فى هدوء وصمت ، بعض الوقت ، ثم ابتسم وهو يجيب :

ــ مكافأتى هى أن أخرج بنفسى الفصل الأخير فى هذه المسرحية .

وصمت لحظة ، ثم أردف فى حماس :

ــ الفصل الذى يُسدل بعده الستار تمامًا ..

* * *

١٠ ــ السِّــتار ..

كان السُّكون والظَّلام يخيِّمان على ذلك الحَىّ الهادئ (المعادى) ، فى تلك الليلة ، وكانت عقارب الساعة تشير إلى منتصف الليل ، حينما هبط رجل طويل القامة من بِناية متوسِّطة الارتفاع ، إلى سطح البناية التى ارتُكِبَ فيها الحادث ، فى خفَّة ورشاقة ، وتسلَّل فى حذر وخفَّة ؛ ليهبط فى درجات السُّلَّم إلى حيث شقة المهندس ، التى شهدت وقائع الجريمة ، وأخرج من جيبه سلسلة تمتلئ بالمفاتيح ، استخدم أحدها لفتح الباب ، ودفعه فى حذر وهدوء ، ثم دلف إلى داخل الشقة ، وأغلق بابها خلفه فى إحكام ، ثم سار على أطراف أصابعه إلى الرَّدهة ، وأخرج من جيبه مصباحًا يدويًا ، وقبل أن يشعله ، ارتجف جسده بغتةً ، حينما انبعث صوت هادئ من ركن الرَّدهة ، يقول فى سخرية ، بالإنجليزية :

ــ (بدرو رامسيانى) .. إيطالى الجنسية ، من أب إيطالى وأم إسبانية ، أوراقه الرسميَّة تقول إنه بائع متجوِّل ، أما أوساط الجريمة ، فتعرفه كلص بنوك محترف ، وقاتل أجير .

أشعل (بدرو) مصباحه اليدوى فى سرعة ، وأخرج مسدَّسه فى حركة حادَّة ، وصوَّب كليهما إلى مصدر الصوت ، وعقد حاجبيه فى دهشة وتوتُّر ، حينما رأى وجه (عصام) الهادئ ، المبتسم فى سخرية ، وهو يستطرد :

ــ لم يتمّ القبض عليه رسميًا أبدًا ، ولكن شاع فى الأوساط السفلية أنه قد نجح فى سرقة أكثر من مليونى دولار أمريكى ، من بنك (روما) الدولى ، منذ شهر واحد ، بمعاونة شريك مجهول .

زمجر (بدرو) ، وارتسمت على وجهه شراسة الدنيا كلها ، وهو يقول :

ــ كيف جئت إلى هنا أيها الصحفى ؟.. وما الذى تعلمه عنّى ؟

نهض (عصام) من مقعده فى هدوء ، وهو يقول :

ــ لقد كنت أنتظرك ، وأنا أعلم الكثير عنك .

سأله (بدرو) فى شراسة :

ــ مثل ماذا ؟

لوّح (عصام) بكفِّه ، وهو يقول :

ــ دعنا نعود إلى البداية .. حينما التقيت بـ(نادر) فى

أشعل (بدرو) مصباحه اليدوىّ فى سرعة وأخرج مسدّسه
فى حركة حادة ، وصوّب كليهما إلى مصدر الصوت ..

(روما) ، وكشف كل منكما أن زميله لصٌّ محترف ، فقرّرتما أن تعملا معًا .. ولقد تعاونتما فى عدد من السرقات الصغيرة الناجحة ، قبل أن يتفتّق ذهنك عن جريمة مُحْكمة ، لسرقة دولارات بنك (روما) الدولى .. ولقد تعاونتما لإنجاح هذه السرقة ، ولكن (نادر) احتفظ بالمبلغ كله لنفسه ، وفرّ به إلى هنا ، مستخدمًا جواز سفر مزوّر ، يمنحه الجنسية الإيطالية ، معتمدًا على إجادته التامّة لهذه اللغة ، بعد خمس سنوات من الإقامة فى (إيطاليا) .

غمغم (بدرو) فى حِدَّة :

ــ خطأ .. (نادر) لم يغادر (إيطاليا) .. إنه ما يزال هناك .

ابتسم (عصام) فى سخرية ، وهو يقول :

ــ أنت كاذب أيها الوغد ، فأنا وأنت نعلم أن الشاب المصرى ، الذى أجاب مكالمتنا الهاتفية من (إيطاليا) ، ليس (نادر) ، وإنما هو شاب استأجرته أنت ، وطلبت منه أداء هذا الدور ، حينما أدركت ، بعد نشرنا لصورة (نادر) ، أننا سنحاول الاتصال به حتمًا .. ولكن هذا الشاب المزيَّف لم يمكنه أن يتقمَّص الدَّوْر تمامًا ، فحينما تحدَّثت إليه ، قلت إننى

أحمل له رسالة من والده ، ثم انتهت المكالمة بالطَّلق الناريّ ، الذى أطلقته أنت علينا ، وكان من المفروض ، لو أن من يتحدَّث هو (نادر) الحقيقى ، أن يصاب بالرُّعبِ والجزَع ، ويسارع بالاتصال بوالده ، ليطمئن على صحته .. ولكن الشاب المزيَّف لم يفعل ؛ لأنه لا يشعر فى أعماقه بأيَّة عواطف ، تربطه بوالد (نادر) الحقيقى ، مثل (نادر) الذى يداوم الاتصال بوالده أسبوعيًا ، طوال خمس سنوات ، وهذا الوالد لم يغادر منزله أمس ، منذ أطلقت أنت رصاصتك ، وحتى الصباح ، مما يؤكِّدُ أن أحدًا لم يحاول الاتصال به .

غمغم (بدرو) فى حَنق :

ــ يا للشيطان !!

حافظ (عصام) على ابتسامته ، وهو يقول :

ــ فلنعُد إذن إلى موضوعنا .. لقد فرَّ (نادر) إلى هنا ، واختبأ فى هذا المكان ومعه المال المسروق ، وتوصَّلت أنت إلى مخبئه على نحو أو آخر ، وحاولت إقناعه بإعطائك نصيبك من المال ، ولكنه حاول الفرار ، وحاولت أنت منعه ، ولكنه أصرَّ على الفرار ، فما كان منك إلَّا أن أطلقت النار عليه ، بمسدِّسك المزوَّد بكاتم للصوت .

انعقد حاجبا (بدرو) على نحو مخيف ، فى حين استطرد (عصام) فى هدوء :

ــ ورأتك (غُلا) .. ورأيتها أنت ، وأدركت أنه هناك شاهد على جريمتك ، فأسرعت تسحب جثة (نادر) إلى سطح المنزل ، وتنظِّف إطار النافذة من الدماء بكل عناية ، ثم فررت بالجثة ، قبل أن يصل رجال الشرطة لتفتيش المكان ، وأخفيتها فى مكان ما ، وبعدها انتظرت حتى يهدأ الأمر ، وتعود إلى هنا .

ــ غمغم (بدرو) فى سخرية :

ــ كان من الأفضل أن أفر .. أليس كذلك ؟

ابتسم (عصام) فى سخرية مماثلة ، وهو يقول :

ــ خطأ أيها الوغد .. إنك كنت ستعود إلى هنا حتمًا ، فأنت لم تسترجع المال المسروق بعد ، وكلانا يعلم أن (نادر) قد أخفاه فى مكان ما هنا ، داخل هذه البناية ، وكان من المحتم أن تحاول البحث عنه واسترداده .

عقد (بدرو) حاجبيه ، وهو يقول فى حَنق :

ــ أى شيطان منحك هذا العقل ؟

لوَّح (عصام) بكفِّه ، وهو يقول فى هدوء :

ـ ليس عقلى الذى توصّل إلى كل هذا للأسف أيها الوغد ، وإنما هما عقلا صبيّين ، لم يتجاوزا الدستة الأولى من سنوات عمريهما بعد .

قلّب (بدرو) شفتيه ، وهو يقول فى استنكار :

ـ صبيان ؟!.. هل تمزح ؟

ابتسم (عصام) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ هل رأيت كم هى مريرة سخرية القدر يا (بدرو رامسيالى)؟.. تصوّر أن (بدرو) المخيف ، الذى عجزت كل سلطات (إيطاليا) عن اقتناصه ، يقع بواسطة صبيّين صغيرين .

زمجر (بدرو) ، وهو يقول فى شراسة :

ـ إنه لم يقع بعد أيُّها الصحفىّ .

ثم ضاقت عيناه ، وهو يسأله فى حِدّة :

ـ ماذا تريد بالضبط ؟

هزّ (عصام) كتفيه ، وهو يقول :

ـ لقد حاولت قتلى مرّتين أيُّها الوغد ، وهذا يمنحنى الحق فى مطالبتك بتعويض مناسب .

سأله (بدرو) فى صرامة :

ـ كم تريد ؟

حدجه (عصام) بنظرة باردة صارمة ، وهو يقول :

ـ أنت أيها الوغد .. الثمن الذى أريده هو أنت .

ارتفع حاجبا (بدرو) ، وهو يهتف فى دهشة :

ـ أنا ؟!

ثم تألّقت ابتسامة فى عينيه ، وانتقلت فى سرعة إلى شفتيه ، وهو يجذب إبرة مسدّسه ، مغمغمًا فى سخرية :

ـ يالك من متبجّح أيها الصحفى !! إنك لن تساوى حتى ثمن الرصاصة !!

وشقَّ سكون الحىّ دَوِىّ رصاصة قاتلة ..

* * *

١١ ــ الختـــام ..

من الواضح بالطبع أن تلك الرصاصة ، التى دوّى صوتها فى المنطقة ، لم تنطلق من مسدّس (بدرو) ؛ لأن مسدّس هذا الأخير ، مزوّد ــ كما نعلم ــ بكاتم للصوْت ..

لقد انطلقت هذه الرصاصة من مسدّس آخر ..

مسدس العقيد (خيرى) ..

ولقد شمل الذهول كيان (بدرو) كله ، من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، حينما أضيئت أنوار الشقة كلها دفعة واحدة ، وانطلقت رصاصة العقيد (خيرى) ؛ لتطيح بمسدّسه ، فاتسعت عيناه رعبًا ، وتراجع فى ذُعر ، أمام مسدّسات رجال الشرطة ، المصوّبة إلى صدره ، وهتف بالإيطالية ، فى صوت مرتجف :

ــ يا للشيطان !!

وعلى الرغم من احتمال نجاته من مثل هذا الموقف ، كانت تقلّ عن الصفر ، إلا أنه اندفع فجأة محاوْلا الفرار ، فقفز نحوه (عصام) ، وهو يهتف فى سخرية :

ــ إلى أين أيها الوغد الإيطالى ؟

حاول (بدرو) أن يتملّص من قبضة (عصام) ، إلّا أن هذا الأخير هوى على فكّه بلكمة ساحقة ، أعقبها بأخرى على أنفه ، فسقط (بدرو) ، القاتل الإيطالى أرضًا ، والدماء تنزف من أنفه وفمه فى غزارة ، ثم نهض مستسلمًا ، يرفع ذراعيه فوق رأسه ، فى حين اقترب منه العقيد (خيرى) ، وهو يقول فى صرامة :

ــ لقد انتهى الأمر يا (بدرو رامسيالى) .. لقد انتهت حياتك الحافلة بالشرور والدماء .

أطبق (بدرو) شفتيه فى مرارة ، وهو يشيح بوجهه فى حَنَق ، فابتسم (عصام) فى سخرية ، وهو يقول :

ــ أظن أنه من حقك أن ترى وجه الصبيَّين ، اللذين أوقعا بك .

ثم أشار بكفه إلى مدخل الحجرة المجاورة ، فأدار (بدرو) عينيه ، اللتين اتسعتا فى ذهول ، وهو يحدّق فى وجهى (عماد) و (عُلا) ، وجسديهما الضئيلين ، قبل أن يصرخ فى استنكار :

ــ مستحيل !! مستحيل أن يكونا هما !! مستحيل !!

فسقط (بدرو) ، القاتل الإيطالى أرضًا ، والدماء تنزف من أنفه ، وفمه فى غزارة ..

تنهَّد (عصام) ، وهو يقول فى ارتياح :

ــ بل هما أوقعا (بدرو) المخيف أيها الوغد ..

عاد (بدرو) يصرخ فى جنون :

ــ مستحيل !.. مستحيل !

ابتسم (عصام) ، وهو يقول فى سخرية :

ــ تطلَّع إلى وجهيهما جيِّدًا أيها الإيطالى ، وحاول أن تحفر صورتيهما فى ذاكرتك ، قبل أن يتدلَّى جسدك من حبل المشنقة .. واذكر جيِّدًا لقبهما .

وابتسم وهو يلتفت إلى (عماد) و (غُلا) ، مردفًا فى اعتزاز :

ــ لقب (ع × ٢) ..

* * *

لم يكد (عصام) يدلف إلى قسم الحوادث ، فى اليوم التالى ، حتى استقبله زملاؤه بعاصفة من التصفيق ، واندفع بعضهم يصافحونه فى حرارة ، وهتف أحدهم فى انبهار :

ــ أروع تحقيق فى حياتك يا (عصام) .. إنك تستحق

من أجله جائزة (بوليتزر)(*).

وضحك آخر ، وهو يقول :

ـ يبدو أنك قد سئمت مجرمى (مصر) ، فرحت توقع بمجرمى (أوربا) .

وهتف ثالث فى حماس :

ـ لقد خضت مغامرة رائعة هذه المرّة يا (عصام) .. إنك لم تعُد تشبه (شيرلوك هولمز) ..

بل (جيمس بوند) ذاته .

ابتسم (عصام) فى سعادة ، وتضرَّج وجه خجلًا ، وهو يقول :

ـ شكرًا يا رفاق .. إننى لم أفعل ما يستحق كل هذا .

ارتسمت على شفتى رئيس القسم ابتسامة واسعة ، وهو يربّت على كتفه ، قائلًا :

ـ بل تستحق يا (عصام) .. فى هذه القضية بالذات تستحقه عن جدارة .

(*) بوليتزر : أعظم جائزة فى عالم التحقيقات الصحفيّة ، وتساوى جائزة (أوسكار) ، فى عالم السينما .

تنهَّد (عصام) فى ارتياح ، وقال :

ـ إننى أشعر بالفخر ، فى هذه القضية بالذات يا سيِّدى .. فعلى الرغم من أن (عماد) و (عُلا) هما اللذان توصَّلا إلى حلّ غموضها ـ كالمعتاد ـ إلَّا أننى أشعر بأننى قد أدَّيْتُ دَوْرى فيها على أكمل وجه .

أوْمأ رئيس القسم برأسه موافقًا ، وهو يقول :

ـ هذا صحيح .

ثم قاده إلى مكتبه ، وهو يستطرد فى سعادة :

ـ هل تعلم كم زاد تحقيقك هذا من توزيع الجريدة ؟.. إن رئيس التحرير يكاد يطير من فرط السعادة !!

غمغم (عصام) :

ـ هذا يسعدنى .

ابتسم رئيسه ، وهو يقول :

ـ ولقد قرَّر مجلس الإدارة صرف مكافأة خاصَّة لك ، قدرها خمسمائة جنيه .

تهلَّلت أسارير (عصام) فى سعادة ، فاستدرك رئيسه فى سرعة :

ـ بعد خصم المصاريف والخسائر بالطبع .

هتف (عصام) فى دهشة :

ـ أيّة مصاريف ؟

أشار رئيسه بكفّه إشارة مُبْهَمة ، وهو يقول :

ـ هذا شأن قسم الحسابات .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى وصل مندوب الحسابات ، واتجه نحوهما ، وهو يقول لـ (عصام) ، فى لهجة روتينية :

ـ ألا ترغب فى معرفة مصير مكافأتك يا أستاذ (عصام) ؟

ـ بالطبع يا أستاذ (حسنين) .. إلَىّ بها .

وضع موظف الحسابات أمامه ورقة ، امتلأت عن آخرها بالأرقام ، وهو يقول بنفس لهجته الروتينية :

ـ إن مكافأتك هى خمسمائة جنيه مصرى ، تبلغ بعد خصم الضرائب والتمغات حوالى أربعمائة وستة جنيهات ، وسبعة عشر قرشًا ، ثم هناك المصاريف والخسائر ، مثل الزجاج المحطَّم ، وتعطل الإنتاج ، فى أثناء تحقيقات الشرطة و....

قاطعه (عصام) فى لهفة :

ـ أعطنى النتيجة النهائية يا أستـــاذ (حسنين) .. ارجوك .

عقد موظف الحسابات حاجبيه ، وأخذ يراجع الأرقام للمرة الأخيرة ، ثم قال فى رصانة :

ـ مائة وستة جنيهات ، وأحد عشر قرشًا .

حدَّق (عصام) فى وجهه بدهشة ، ثم لم يلبث أن أطلق ضحكة عالية ، قبل أن يقول :

ـ يا إلهى !!.. هل خفّضت الخسائر مكافأتى إلى هذا الحدّ ؟

تنحنح موظف الحسابات ، وهو يقول فى حرج :

ـ معذرة ياأستاذ (عصام) .. يبدو أنك قد أسأت فهم الأمر .

سأله (عصام) فى دهشة :

ـ ماذا تعْنى ؟

تنحنح الرجل مرَّة أخرى ، وعاد يقول فى حرج :

ـ إنك لن تقبض مليمًا واحدًا من مكافأتك .. إحمْ .. أعْنى أن قيمة الخسائر قد فاقت المكافأة ، وأن ..

قاطعه (عصام) ، وهو يهتف فى استنكار :

ـ هل تعْنى أننى مدين للجريدة بمائة وستة جنيهات ، وأحد عشر قرشًا ؟

أومأ موظف الحسابات برأسه إيجابًا فى حرج ، ثم أسرع يستدرك :

ـ إننا لن نطالبك بالمبلغ فورًا بالطبع ، سنخصِمه على أقساط من مرتَّبك الشهرى و....

قاطعه (عصام) فى حدَّة :

ـ كفى .

ثم التقط آلة التصوير الخاصَّة به ، وهو يقول :

ـ إلى اللقاء .

سأله أحد زملائه فى دهشة :

ـ إلى أين ؟

أجابه (عصام) :

ـ إلى السجن الذى أودع فيه (بدرو) لأجرى معه حديثًا خاصًّا ، قبل أن يتم إعدامه .. فأعتقد أنه من الأفضل أن يتحوَّل المرء إلى لصّ بنوك .

تفجَّرت الضحكات من أفواه زملاء (عصام) ، وغمغم أحدهم فى مرح :

ـ يا له من شاب !! إننى أحسده على ذلك اللقب الذى اختاره لنفسه .. لقب (ع × ٢) .

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع/ ٣٥٤١

مغامرات ع × ٢

سلسلة ألغاز بوليسية مثيرة للناشئين تنمّي العقل وتنمّي الفكر والذكاء..

المؤلف

د. نبيل فاروق

قضية الجريمة الوهمية

- جريمة قتل شهدتها (عُلا)، ورأت تفاصيلها في وضوح، ولكنّ كل الأدلة والشواهد تؤكد أن هذه الجريمة لم تحدث.. كيف..؟
- تُرى.. هل ينجح فريق (ع × ٢) في حلّ لغز هذه القضية الجديدة..؟
- اقرإ التفاصيل، وحاول أن تسبق الفريق إلى حلّ اللغز.

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت: ٩٠٨٥٥٥

الثمن في مصر ٧٥ ق.
وما يعادل دولارًا أمريكيًا
في سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم
(قضية منتصف الليل)